دەزگای توێژینەوەو بڵاوکردنەوەی موکریانی

بۆ خوێندنەوە و داگرتنی سەرجەم کتێبەکانی دەزگای

موکریانی سەردانی مالپەڕی دەزگای موکریانی بکە...

www.mukiryani.com

بۆ پەیوەندی..

info@mukiryani.com

MUKIRYANI
ESTABLISHMENT FOR RESEARCH & PUBLICATION

دوسية البارزانى في محفظة ستالين الفولاذية

وزیری أشو

دوسية البارزانى في محفظة ستالين الفولاذية

ترجمة وتقديم

د.إسماعيل حصاف

هولير- ٢٠٠٨

مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر

- **دوسية البارزانى في محفظة ستالين الفولاذية**
- تأليف: وزيرى أشو
- ترجمة وتقديم: د.إسماعيل حصاف
- التصميم الداخلي: طــه حسين
- الغلاف: مراد بهراميان
- رقم الايداع: (١٨٨٧)
- السعر: (١٠٠٠) دينار
- الطبعة الاولى : ٢٠٠٨
- العدد: ٥٠٠
- المطبعة: مطبعة خاني (دهوك)

تسلسل الكتاب (٣٢١)

كافة الحقوق محفوظة لمؤسسة موكرياني

مالپەڕ: www.mukiryani.com
ئیمەیل: info@mukiryani.com

الاهداء

إلى روح قائد الأمـة الكورديـة، إلى الرجـل الفـولاذي الـذي لم يلِـن طوال اكثر من خمسة عقود، إلى من رفع رايـة الكـورديتي عاليـاً، قائداً ومضحياً ومدافعاً، إلى روح الخالد مصطفى بارزاني وإلى كل ثوري حقيقي سائر على نهجه وإلى أرواح البيشمركه الأبطال
أهدي هذا العمل المتواضع.

د. اسماعيل حصاف

مقدمة المترجم

يعد الزعيم الكوردي الخالد مصطفى بارزاني من أبرز قادة حركة التحرر الوطني الكوردية في التأريخ الحديث والمعاصر، ليس فقط لأنه قاد أطول ثورة مسلحة في تأريخ الشعب الكوردي وحركته التحرر ية، بل ولأنه جعل من البارزانيزم نهجاً راسخا ومدرسة نضالية، بحيث إقترن إسم البارزاني بالشعب الكوردي، لدرجة أصبحا كلاهما صنوان لاينفصمان.

كان طلبة الكورد الدارسون في جامعات ومعاهد الدول الأجنبية يلعبون دور السفراء لشعبهم في الخارج. غالباً وعندمحاولة طالب ما التعريف بالشعب الكوردي وبعدالة قضيته لشخص او طرف أجنبي، كان يستعصي عليه تحقيق غايته ويعجز إيصال الفكرة وبمجرد ذكر إسم البارزاني يتم فك هذا اللغز المعقد. إنني شخصياً تعرضت إلى هذا الموقف أحياناً كثيرة في موسكو ووارسو وفينا وفي أماكن أخرى من جمهوريات ومقاطعات الإتحاد السوفياتي خلال سنوات الدراسة ١٩٧٥ـ ١٩٨٦.

ولابد من الإشارة، إلى أن إسم البارزاني، كان دولياً يرمز إلى الكورد، في الوقت الذي كان يضرب الحصار على الثورة الكوردية

ويفرض عليها تعتيماً إعلامياً في ظل الصمت الدولي الرهيب تجاه القضية الكوردية خلال سنوات الحرب الباردة، إذ لم تكن وسائل الإتصال متاحة كما هو اليوم كالإنترنيت والموبايل والإنترفون....ألخ. كان الصوت الكوردي يصل إلى الخارج أحياناً عبر الصحفيين الكبار الذين زاروا كوردستان وإلتقوا بالزعيم الكوردي في عرينه أو من خلال إذاعة لندن إضافة إلى صوت كوردستان العراق الذي كان يتعرض إلى التشويش من قبل أجهزة الدولة الأمنية للحكومات العراقية وإحداث ضجيج موسيقى مثل ((هاني.... هاني)) وغيرها على نفس الذبذبات التي كانت تبث عليها صوت كوردستان ودون أن ننسى دور ممثلية الثورة في الخارج وزيارات قادة الثورة إلى جانب دور جمعية طلبة الأكراد.

ويجب القول، أن مصطفى بارزاني يعتبر أحد أبرز قادة حركات التحرر الوطني في القرن العشرين، ولا بد من تصنيفه إلى جانب القادة العظام التي برزت في القرن المنصرم مثل المهاتما غاندي[١]

١- المهاتما غاندي: ولد عام ١٨٦٩ في اسرة تنتمي لطبقة الفيشية، ثالث الطبقات الهندوسية الأربع واتخذ مبدأ ((أهمسا)) وهو الا ينزل أحد الأذى بكائن حي. حصل على إجازة المحاماة في إنجلترا، عمل محامياً في جنوب افريقا ٢١عاماً دفاعا عن السود وحين عودته إلى بومباي استقبل بحفاوة وأطلق الناس عليه ((المهاتما)) أي ((الروح الأعظم)). أسس حركة ((البانشيلا- اللاعنف)) وممارسة العصيان المدني ومقاطعة المحتل الإنجليزي أسلوباً نضالياً، وقد استقلت الهند عام ١٩٤٧ واغتيل على يد رجل من السيخ في كانون الثاني من عام ١٩٤٨.

وسن يات سن[٢] وماوتسي تونغ[٣] وكيم إيل سونغ[٤] وهوشي منه[٥] ولومومبا[٦].... إلخ، لأن دور البارزاني بالنسبة لقضية

٢- سن يات سن: (١٨٦٦ـ ١٩٢٥) سياسي وزعيم ثوري صيني ومؤسس الجمهورية الصينية ورئيسها المؤقت ١٩١١ـ ١٩١٢(المترجم).

٣- ماوتسي تونغ (١٨٩٣ـ ١٩٧٦) مواليد شاوشان مقاطعة هونان في أسرة فلاحية. مع بداية عام ١٩٢٧ أسس الجيش الثوري. وفي الأول من تشرين الأول ١٩٤٩ أعلن ماو من ساحة تيين أمين في بكين قيام جمهورية الصين الشعبية وهو صاحب مفهوم ((الثورة الثقافية)) توفي في أيلول عام ١٩٧٦ في بكين (المترجم).

٤- كيم إيل سونغ : ولد في نيسان عام ١٩١٢ مارس السياسة منذ عام ١٩٢٦، عمل في الجيش السوفياتي، عينه ستالين لإدارة كوريا ويعود إليه الفضل في وضع أسس لتحرير كوريا وإنشاء حزب العمل الكوري. ويعتبر أول زعيم عالمي بقي في الحكم لمدة طويلة توفى في ١٩٩٤/٧/٨ (المترجم).

٥- هوش منه: (١٨٩٠ـ ١٩٦٩) مؤسس الدولة الفيتنامية الشمالية ورائد النهضة القومية في الهند الصينية، اسمه نفوين آي كوك و الذي عرف فيما بعد بـ((هوش منه)). واصل النضال خلال الحرب العالمية الثانية من أجل طرد اليابانيين من بلاده، ثم ناضل ضد الأستعمار الفرنسي فالأمريكي، يعد أحد أبرز شخصيات حركات التحرر العالمية توفي في أيلول عام ١٩٦٩ (المترجم).

٦- باتريس لومومبا (١٩٢٥ـ ١٩٦١): مواليد الكونغو. أسس عام ١٩٥٨ الحركة الوطنية الكونغولية لمواجهة الإستعمار البلجيكي ونال إستقلال بلاده في حزيران ١٩٦٠ وأنتخب في العام نفسه أول رئيس لحكومة الإستقلال، وعلى أثر الانقلاب العسكري في ١٤ ايلول ١٩٦٠ على يد موبوتو سلم لومومبا إلى خصمه تشومبي في كاتانغا، حيث أعدم في ٢٧ كانون الثاني ١٩٦١ (المترجم).

شعبه لا يقل شأناً ابداً عن دور هؤلاء القادة بالنسبة لشعوبها ومكانته الدولية لا تقل عن مكانتهم.

ولدعم كلامنا هذا بالأدلة والبراهين، ربما من المفيد الوقوف عند سنوات الحرب العالمية الثانية. ففي الوقت الذي كان أغلب شعوب المنطقة تنتظر نتائج الحرب، كان القائد الكوردي مصطفى بارزاني يقود ثورة حقيقية ضد الحكومة العميلة في بغداد وأسيادها البريطانيين في تلك المرحلة. وكانت ثورة البارزاني ١٩٤٣ـ ١٩٤٥، تعد إحدى الثورات التحريرية النادرة آنذاك ودون مظله خارجية، في وقت كان دول الحلفاء يرسمون مستقبل العالم مابعد الحرب في مؤتمراتهم وكونفرانساتهم كمؤتمر (كازا بلانكا) وطهران ويالتا ومن ثم بوتسدام.

وحقق الثوار الكورد بقيادة الزعيم مصطفى بارزاني في أواخر عام ١٩٤٣، نجاحات كبيرة وإنتصارات باهرة، وعندما إقتنعت حكومة نوري السعيد بإنسداد آفاق مخططاتها في القضاء على الثورة الكوردية، وافقت على إجراء مفاوضات مع الطرف الكوردي.

وفي أواخر كانون الأول من عام ١٩٤٣ جرى في ميركه سور مفاوضات بين ((ضابط الإتصال)) من قبل حكومة بغداد وقائد الثورة الكوردية مصطفى بارزاني الذي قدم لهم جملة من المطاليب ومن أهمها: إقامة منطقة إدارية خاصة بالكورد تضم المدن الكوردستانية كركوك وأربيل والسليمانية وخانقين ودهوك وجعل اللغة الكوردية لغة رسمية.

وفي أوائل عـام ١٩٤٤، توصـلت قـادة الثـورة في كوردسـتان مـع حكومة بغداد إلى عقد إتفاقية نهائية، يسمح بموجبهـا عـودة الـشيخ أحمد بارزاني وغيره من قادة بارزان بـالعودة الى منـاطقهم في بـارزان. إلا ان حكومة بغداد لم تكن تملك مشروعاً لحل المسألة الكوردية، الأمر الذي أدى إلى تجدد الإشتباكات الطاحنة في نهايـة أيلـول عـام ١٩٤٥ على مقربة من بارزان، وقد شاركت القوات البريطانية في هذه المعـارك إلى جانب القـوات العراقيـة، حينهـا وتفاديـاً لحمايـة أرواح وممتلكـات الـسكان، إتخـذ مـصطفى بـارزاني قـراره التـأريخي بالانـسحاب إلى كوردستان الشرقية، حيث إشتد فيهـا نطـاق الفكـر القـومي التحـرري وصولاً إلى مشاركة البارزاني في قيام جمهورية كوردستان عام ١٩٤٦.

أما في العراق فقد حكم علـى الكـثيرين بالإعـدام شـنقاً بيـنهم الضباط الكورد الأربعة: الرائد عزت عبد العزيز، النقيب مصطفى خوشناو، النقيب خير الله عبدالكريم والملازم محمد قدسي.

كما وحكم على البارزاني والشيخ احمد البارزاني حكماً غيابيـا بالإعـدام. وفي عـام ١٩٤٥، وبدايـة وصـول البـارزاني إلى إيـران، أجرى أول إتصال مع الجنرال السوفياتي ليوبـوف حيـث كلـف حمـزة عبدالله بحمل رسالة منه وإرسلها إلى ستالين* للدفاع عن جمهوريـة كوردستان وحمايتها.

*- ســتالين: (١٨٧٩ ـ ١٩٥٣)، واسمــه الحقيقــي فيــسار بونــوفيتش دجوغاشفيلي،أما إسمه المستعار فكان جوزيف ستالين (الرجل الفولاذي). اعتقـل في الفترة مابين (١٩١٣ـ ١٩١٧) حيث كان منفياً إلى سيبريا. بعـد وفـاة لينـين

وبعد القضاء على جمهورية كوردستان إلتجأ مـصطفى بـارزاني إلى الاتحـاد الـسوفياتي، ففـي ٢٧ آيـار مـن عـام ١٩٤٧ ابلـغ العراقيون الإيرانيين بان البارزاني في شمال بارزان متجهاً نحـو الحـدود الإيرانية بعد اجتيازه الحدود التركية، وهكذا متبعاً تكتيكا حكيماً في استخدام اسلوب التنقل من طرف حدود إلى أخر وبعد أن حارب القوات الإيرانية والعراقية والتركية إجتاز نهـر آراس مـع ٥٠٠ مـن مقاتليه الشجعان البارزانيين بعد أن قطعوا (٣٥٠)كم في ١٤ يومـاً مشياً على الأقدام.

في الجانب السوفياتي أساءت العلاقـات بـين مـصطفى بـارزاني وبـاقيروف رئـيس المجلـس الأعلـى لجمهوريـة آذربيجـان الإشـتراكية السوفياتية، لأن البارزاني رفـض أن يتحـول إلى أداة بيـد بـاقيروف وبالتالي كانت العلاقات سيئة بين الرجلين. وفي البداية وزع الكـورد البــارزانيين علــى أرمينيــا وبعــد ذلــك تم نفــيهم إلى جمهوريــة أوزبكستان في آسيا الوسطى ودون إعطائهم أية صفة سياسية.

نشأ صراع بين ستالين وتروتسكي على السلطة وأضحى ستالين سيد الإتحاد السوفياتي بلا منازع. بعد الحرب العالمية الثانية خرجت روسيا بزعامة ستالين قوة عسكرية عظمى وكان أحد المهندسين إلى جانب روزفلت وتشرشل في رسم خارطة العالم مابعد الحرب. امتلكت روسيا في عهده لأول مرة القنبلة الذرية فارضاً نفسه كأحد القوتين الأساسيتين في العالم كله، في ٦ اذار عام ١٩٥٣ أذاع راديو موسكو نبأ وفاته قائلاً: ((لقد توقف عن الخفقان قلب الرفيق الخالد خليفة لينين القائد الحكيم ومعلم الحزب الشيوعي والشعب السوفياتي (المترجم))).

وكان البارزاني الخالد منذ البداية قد إشترط تحسن وضعه بتحسن ظروف حياة رفاقه، ففي إحدى الدعوات، اضرب البارزاني عن الطعام قائلاً: ((لن آكل وأبداً لن آكل، وكيف لي أن آكل و٥٠٠ من الكورد يضورون جوعاً)).

أمضى البارزاني رحلته السوفياتية (١١) إحدى عشر عاماً وهذه المرحلة تنقسم إلى فترتين بالنسبة إليهم: الفترة الستالينية، فترة النفى التي امتدت من ١٩٤٧ـ ١٩٥٣. والفترة الخروشوفية، فترة الإنفراج (١٩٥٣، ١٩٥٨).

بعد وفاة ستالين ومحاكمة باقيروف تحسن وضع البارزانى ورفاقه في الإتحاد السوفياتي، فقد طار البارزاني سراً إلى موسكو، وفي الكرملين إستقبل من قبل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي واستقبله خروشوف[1]

١- نيكيتا سرغييفتيش خروشوف (١٨٩٤- ١٩٧١): حكم الإتحاد السوفياتي من ١٩٥٣- ١٩٦٤. ولد في كالينوفكا- مقاطعة كورسك، إنتسب إلى الحزب الشيوعي عام ١٩١٨، أنتخب في اللجنة المركزية عام ١٩٣٢ وعضواً للمكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي عام ١٩٣٩ شارك في الحرب الأهلية وعمل في المجالس الحربية أثناء الحرب العالمية وبعد وفاة ستالين تولى زعامة الحزب والحكومة وفي المؤتمر العشرين للحزب عام ١٩٥٦ ندد خروشوف بعبادة الفرد وبجرائم ستالين. له مواقف معروفة في الحرب الباردة. نحى عن السلطة في ١٤/ ١٠/ ١٩٦٤ وجرد من كافة مناصبه واعتكف في داره الريفي (داتشا) على أثر الإنقلاب الأبيض الذي قام به بريجنيف خلال وجود خروشوف على البحر... وتوفي في ١١ ايلول ١٩٧١.

ومالينكوف[2] ومولوتوف[3]. وإستقر البارزاني الخالد في وسط موسكو على مقربة من شارع غوركوفا في الشقة رقم(٥) على ما أعتقد.

وفي موسكو طالب البارزاني الحكومة السوفياتية ـ بالعمل من أجل تحسين أوضاع رفاقه من البارزانيين، وعلى أن يعطي الفرص لهم للذهاب إلى المدارس المتخصصة والحزبية. وتم تخصيص راتب له ولمجموعة من الكوادر البارزانيين الذين بقوا في العاصمة السوفياتية موسكو، حيث درسوا اللغة الروسية والعلوم السياسية والماركسية اللينينية.

في عام ١٩٥٥ إلتقى الخالد مصطفى بارزاني لأول مرة بعد كل هذه السنوات بشخصية كوردية من خارج السوفيات وكان هذه الشخصية هو جلال طالباني الذي مر على موسكو لحضور مهرجان الشباب العالمي في وارسو العاصمة البولندية. وكانت فرصة ثمينة للبارزاني أن يعطى توصيات للسيد جلال الطالباني وأن يستمر في العمل القومي. وجرى لقاء آخر معه في عام ١٩٥٧ عند حضور جلال الطالباني مهرجان الشباب العالمي في موسكو هذه المرة. وأنا أعتقد أن مشاركة جلال الطالباني عن الديمقراطي الكوردستاني،

٢ ـ مالينكوف: كان الشخص الثاني بعد ستالين، بعد وفاة ستالين كان إلى جانب خروشوف يقود الدولة والحزب إلى أن أبعده خروشوف.

٣ ـ مولوتوف : وزير خارجية الإتحاد السوفياتي خلال الحقبة الستالينية.

كـان بترشـيح مـن قبـل البـارزاني نفـسه وبالتنـسيق مـع الجانـب السوفياتي والشيوعيين العراقيين.

إن هذا الكتيب الذي بين أيدينا، يتناول جانب مهـم مـن حيـاة ونضال الزعيم الكوردي مصطفى بارزاني، تلك المرحلـة الـسوفياتية من حياته الواقعة في الفـترة مـابين سـنوات ١٩٤٧ــ ١٩٥٨ أي في أعقاب سقوط جمهوريـة كوردسـتان وحتـى قيـام ثـورة ١٤ تمـوز في العراق بقيادة الجنرال عبد الكريم قاسم.

وبإعتقادي أن لدراسة هذه المرحلة أهمية بالغة لـسببين: الـسبب الأول، هـو أنـه قلمـا تنـاولـت الأقـلام دراسـة حيـاة البـارزاني السوفياتية، ربما لعدم توفر المصادر والوثائق الضرورية، أما السبب الآخر، فهو أن هـذه المرحلـة تعـد إنتقاليـة مهمـة بالنـسبة للحركـة القومية الكوردية مرحلة تحول القضية الكوردية من قـضية داخليـة إلى مسألة دولية، بمعنى آخر، أنها تشكل الخطـوة الأولى في تـدويل القضية الكوردية في مرحلة الحرب الباردة بين القطبين المتناحرين.

وإذا أردنا إضافة اهمية ثالثة إلى هذا الكتيب فهو المؤلف نفـسه السيد وزيـري أشـو، الكـوردي الـسوفياتي المخـتص بالتـأريخ والـذي عاصر المرحلة المستقـصية، فـالمؤلف أولاً ملـم بالـسياسة الـسوفياتية جيداً ومتمكن في المسألة الكوردية ثانياً وعمـل في الوسـط الـسياسي والثقافي الكوردي في يريفان ثالثاً، إضافة إلى ذلـك فـان وزيـري أشـو هو من احد القلائل الباقيين من الجيل السابق.

لابد من الإعتراف بأن ثورة أكتوبر دشنت نهضة قومية وثقافية

كوردية كبيرة في الإتحـاد الـسوفياتي الـسابق ولا سـيما في يريفـان. وبـرز مـن الرعيـل الأول البروفـسور حـاجي جنـدي[١] وعـرب شمـو صاحب كتاب ((شفاني كورد)) وأمين عفـدال المتـوفى عـام ١٩٦٤ وجردوى قانجو المحرر الأول لجريـدة ((ريـا تـازه)) حتـى عـام ١٩٣٧ وتوفى عام ١٩٤٥ وجاسم جليل والد كل من البروفسورين أوردخان وجليلي جليل و وزيري نادري.[٢]

أما الرعيل الثاني من المثقفين الكورد السوفيات نـذكر مـنهم: ((رزاليـة رشـيد (١٩٢٨-٢٠٠٠) مـن مواليـد كوراكنـد منطقـة إجيمـازين، عمـل إسـتاذ اللغـة الكورديـة، شـاعر لـه قـصيدة

---

١ ـ قمت بترجمة روايته ((وجاء الربيع)) إصدار عام ١٩٩٢، من الروسية إلى العربيـة وعنوانهـا باللغـة الكورديـة ((هـواري)) الـتي تتحـدث عـن ملاحقـة العثمانيين للكورد وهروبهم إلى الطرف السوفياتي (المترجم).

٢ ـ وزيرى نادري: ولد حـوالي عـام ١٩٢٠ ينحـدر مـن منطقـة ناخيجيفـان إنتقل إلى يريفان، يقال أنه كان وسيماً ورشيقاً، درس الفارسية في الجامعة مـع حاجي جندي، وكانت أطروحته حول حياة وأعمال ملاي جزيري لكن لم تناقش، عرف في مهاباد أثناء قيـام جمهوريـة كوردسـتان باسـم رشـيد بـك، أصـدر في الثلاثينـات ثلاثـة دواويـن شـعرية، تـزوج مـن نـورة بولاتـوف شـقيقة الثـوري الكـردي القوميـسيار الأحمـر عـضو حكومـة المركزيـة لـسيبريا فيريـك بـولات بيكوف الذي قتل من قبل البيض حوالي عام ١٩٢٠ وكانت نـورة أول مذيعـة للغة الكوردية في راديو يريفان ١٩٥٥ــ ١٩٥٨ دفـن وزيـري نـادري في مدينـة يريفان ١٩٤٦.

معروفة(چيايى مەمان) أصبحت أغنية الآن. وقاجاغي مراد (شاعر) وميخائيل رشيد(شاعر) وسعيد إيبو (شاعر وناثر)، وسموي شمو (شاعر)، فيريك يوسف (شاعر) شكوى حسن (شاعر) شمسي(شاعر)، عسكري بويك وإسماعيل دوكو (ناثر) وجردوي أسد. وينتمي وزيري أشو إلى الجيل الثاني ـ الثالث)).

من هؤلاء المثقفين والأكاديميين الكورد والذي نذكر منهم قناتي كوردو (١٩٠٩ـ ١٩٨٤ت) رئيس الكابينة الكوردية في لينينغراد وأوردوخان (توفى نهاية عام ٢٠٠٧) وجليلي جليل وشاكرو محوي (توفي شباط ٢٠٠٧) وشرف آشير (١٩٣٢ـ ٢٠٠٢) أكاديمي وأديب وشاعر.

ومكسيم حموي (مواليد ١٩٣٤) في جوانكا ماز ـ لغوي. ويأتي في عداد الجيل الثالث كارلان جاجاني (شاعر) وعزيزى جوو (شاعر) أنهى اللغة الكوردية وتوسن رشيد (شاعر) وعزيز گردن زري(شاعر وناثر) وباباي كلش (ناثر) انهى اللغة الكوردية ويوسف بكو (قاص وشاعر) بدأ بالكتابة مع نهاية الأربعينيات وغيرهم.

من هو وزيرى أشو؟

ولد وزيري أشو عام ١٩٣٤ في عاصمة جيورجيا ـ تبليس كاتب ومؤرخ وعمل في الصحافة. درس الإبتدائية في قرية پامپ (سيپان ـ حالياً) وأنهى الإعدادية عام ١٩٥٣ في تبليس حيث إنتسب في العام نفسه إلى كلية التأريخ في يريڤان وتخرج منها عام ١٩٥٨.

عمل مدرساً لقرية پامپ من ١٩٥٨ـ ١٩٦١، تخصص في التأريخ الكوردي على يد قناتي كوردو في معهد الاستشراق في لينينغراد في الفترة مابين ١٩٦١ـ ١٩٦٣. عمل حوالي ٤٠ عاما في مجال الصحافة والترجمة لإذاعة يريڤان وخاصة القسم الكوردي. صدرت له في رياتازة عام ١٩٥٨ اول قصة بعنوان ((بيرقاسور العلم الأحمر)) طبع له في أرمينيا خمسة كتب : ميزكين (قصص)، دنگبيژ كال بيبو(قصص) پامپ ـ سيپان (رواية قصيرة وثائقية). ومن ترجماته تأريخ الأتنوغرافيا لخاچاتور أبوڤيان وأعمال اخرى له في مجال الكوردلوجيا وحصل على عمله هذا على وسام عرب شو عام١٩٩٢. يعيش في بلجيكا منذ عام ١٩٩٥، قام بعقد عشرات الندوات حول تأريخ والأدب الكوردي ونشر أكثر من ١٠٠ مقال في الصحافة الكوردية في أوربا ويعد من الناشطين في حقل المجتمع.

ومن إنتاجه المعدة للطباعة نذكر:

ـ بحث تحت عنوان ((الأدب الكوردي في أرمينيا، تناول فيه تأريخ الأدب الكوردي في أرمينيا من ١٩٣٠ وحتى يومنا هذا)).

ـ مجلدين، قصص وروايات قصيرة.

ـ مذكراته الشخصية.

ـ كتاب عن البروفسور قناتي كوردو.

ـ بحث حول الفنان شڤان پرور.

ويفكر وزيري أشو إن تسنى له الظروف توسيع هذا الكتاب عن البارزاني الخالد، ونحن بدورنا نتمنى له الموفقية والنجاح والعمر المديد.

يتناول المؤلف في هذا العمل حياة ونضال البارزاني في الإتحاد السوفياتي في الفترة مابين ١٩٤٧ـ ١٩٥٨، مؤكداً على أن مرحلة من نضاله مازالت غارقة في لجة ظلام دامس، حيث لم يتم تقييم المرحلة المستقصية من حياة البارزاني تقييماً علمياً وموضوعياً، ويتصدى لأصحاب الرؤى الذين يحاولون فصل تلك المرحلة المهمة من حياة البارزاني عن نضاله.

ويعرض الكتاب الظروف الصعبة وحياة المنفى المفروضة على البارزاني ورفاقه من قبل النظام الستاليني، ناهيك عن أن الصحافة والإعلام السوفياتي تجاهلت خلال تلك الفترة الزعيم الكوردي والحركة الكوردية إذ لم تنشر كلمة واحدة عنهم.

ويبين المؤلف دور ستالين الذي كان يعطي توجيهاته بإقامة العلاقة مع البارزاني سراً، ويعتقد بأنه لولا موت ستالين المفاجئ لقام بتغيير وضع الخالد وأتباعه. وكان باقيروف يقف وراء توزيع الكورد وذلك لأن البارزاني وقف بصرامة ضد مخططاته في منح كوردستان الشرقية حكماً ذاتياً في إطار دولة أذربيجان الكبرى قائلاً له: ((أن الكورد شعب ذا خصوصية وأن المسالة الكوردية تختلف إختلافاً جذرياً عن المسألة الأذرية، ومن غير الممكن أن تصبح كوردستان الشرقية ذيلاً لآذربيجان، مادام للكورد كامل الحقوق في تأسيس دولتهم القومية)).

ويحاول الكاتب عرض الأسباب التى خلقت فراغاً في المرحلة التاريخية التى أمضاها البارزاني في الدولة السوفياتية، مؤكداً على

أنه باتت تتوفر فقط الآن إمكانيات الحصول على بعض الوثائق والمصادر عن حياة البارزانى ونضاله. وإلى جانب قلة المصادر والأدلة حول حياة ونضال البارزاني في الإتحاد السوفياتي، فإن تاريخه الشخصي كما هو الحال بالنسبة لتاريخ كوردستان قد تعرض إلى التشويه والتزييف بشكل مقصود أو بدونه وفقاً للإرادة الشخصية أو بدونها، بشكل هادف او بسبب عدم الإلمام الكافي بجوانب القضية.

وينتقل الكاتب من عرض مرحلة النفي والعزلة التي فرضتها الأوساط الحاكمة على البارزاني ورفاقه إلى مرحلة مابعد الستالينية وإستقبال البارزاني من قبل القادة السوفيات في الكرملين وكيف تمكن البارزاني إقناع خروشوف بوجهة نظره، الذي دعم علناً وحتى نهاية رئاسته وقيادته للدولة السوفياتية عام ١٩٦٤ بغض النظر عن الأوضاع السياسية ودون الأخذ بالحسبان مصالح الدولة السوفياتية.

كان صدام حسين الذي زار موسكو في بداية السبعينات يهدف إلى إجراء ضغط على البارزاني عن طريق القيادة السوفياتية، وعندما رفض البارزاني هذا الطلب السوفياتي بالدخول إلى الجبهة والتوقيع على الحكم الذاتي دون كركوك، غيرت القيادة السوفياتية علاقتها مع الكورد، تحولت من صديق إلى عدو وتركت حل قضية كركوك ليومنا هذا.

ولابد من الوقوف معمقاً وتحليل دوافع ورؤى الحزب الشيوعي السوفياتي والأحزاب الشيوعية في الدول المحتلة لكوردستان تجاه

الحركة الكوردية في هذه البلدان وتبيان مواقفهم ونظرتهم الخاطئة من جهة، وعرض النظرة البارزانية الصحيحة تجاه تلك المواقف وإيضاح المضمون التحرري للحركة القومية الكوردية. ويصف المؤلف رحلة البارزاني عام ١٩٥٦من موسكو إلى أرمينيا لزيارة الكورد في هذه الجمهورية السوفياتية وكيف اقبل أبناء الشعب الكوردي مهرولين اليه من المثقفين والجامعيين والعاملين في الدولة والجماهير الشعبية. كما يتحدث الكاتب عن مذكرات الجنرال في الأمن السوفياتي سودوپيلاتوف الذي كان يعتبر الشخصية الثانية بعد لا فرانتي بيريا الذي وصف البارزاني بالسياسي المحنك والمثقف الناضج.

بادرت القيادة السوفياتية في أعقاب زيارة البارزاني إلى أكراد أرمينيا إلى تحسين وضع الكورد أكاديميا وإعلامياً وثقافيا.

إلا أن أهم نتيجة من نتائج زيارة البارزاني ، أنها أدت إلى تغيير بنية العقل الكوردي في الإتحاد السوفياتي، الذين بدأوا يعتبرون كوردستان إلى جانب الإتحاد السوفياتي وطناً لهم، أما النتيجة الأخرى لتلك الزيارة هي تغيير العامل النفسي لدى الكورد في الإتحاد السوفياتي وإعادة خلق الثقة بأنفسهم.

ثم يتحدث المؤلف عن زيارة البارزاني إلى قريتي جرجريس وهاكو الكورديتين مبينا مشاعر المواطنين الكورد اليزيديين وفرحهم تجاه القائد الكوردي ومحبتهم له قائلاً: أن رغبة الخالد هذه تتواصل اليوم عبر إبنه البار رئيس إقليم كوردستان

مسعود بارزاني الذي يؤكد في كل مرة على أن اليزيديين هم الكورد الأصلاء.

أن الزعيم الكوردي مصطفى بارزاني، قد حقق الأهداف التي خطط لها قبل مجيئه إلى الإتحاد السوفياتي. إن زعيماً كالخالد الذي كرس جل حياته بلا هوادة في سبيل تحرير الكورد وكوردستان، من الممكن أن يظهر مرة كل مئة عام.

د. إسماعيل محمد حصاف
هولير في ٢٠٠٧/٧/١

دوسية البارزانى في محفظة ستالين الفولاذية

مع أن إسم ملا مصطفى بارزاني وأعماله المجيدة باتت معروفة في كل أنحاء العالم، وأن إسمه العزيز والعظيم يتردد وبإستمرار على ألسنة أطفال الكورد لكن هذه المسألة تنطوي في ذاته على تناقض ظاهري واضح وحتى يومنا هذا، تلك التي تثير الدهشة والإستغراب، فبقدر شهرة البارزاني الواسعة في الأوساط الدولية عموماً وبين أبناء شعبه الكوردي خصوصاً، لكنه وبالقدر نفسه يبقى مجهولاً، والأصح وبحكم العوامل الموضوعية لم يتم قراءة حياة البارزاني كاملة وأعماله كما يجب وطرحها أمام عيون المجتمع الدولي والكوردي ولم تُقَّيم تقييماً عالياً ورفيعاً.

ومع أنه قد كُتب العديد من الأبحاث والمذكرات الصادرة عن حياة البارزاني الخالد، وعن نضالاته كزعيم وقائد لحركة التحرر الوطني الكوردية، لكن مرحلة من نضالاته البارزة مازالت غارقة في لجة ظلام دامس ولم يسلط الضوء عليها بشكل كامل وبالأخص من ناحية التقييم وأقصد من وراء ذلك السنوات الاحدى عشرة التي قضاها الخالد في الإتحاد السوفياتي السابق.

إن (١١) عاماً تعد مرحلة قصيرة جداً بالنسبة لعمر التأريخ، لكنها بالنسبة لحياة شخص وإنسان فهي ليست كذلك. ولا تكمن الإشكالية تماماً في الفراغ الحاصل في حياة الخالد مصطفى بارزاني، لأنه عاجلاً أم أجلاً سيمتلئ هذا الفراغ. لكن القضية تكمن، إن جاز التعبير، في ضم ذاك الفراغ إلى شخصية الخالد، والأصح إلى أعماله، حيث يفصلون إحدى عشر عاماً من بقاءه في الإتحاد السوفياتي السابق عن أعماله العامة، وينظرون إلى تلك المرحلة كفترة مقطوعة، متسمة بالخمول والجمود بالنسبة إلى أعماله لكننا كما سنرى، إنها لنظرة خاطئة غير واقعية وخيالية لا أساس لها.

إن أكثر من نصف تلك السنوات الحادية عشرة، قضاها الخالد مع رفاق دربه في الإتحاد السوفياتي، في حياة صعبة جداً وفي ظل حياة المنفى للنظام الستاليني، إذ لم يسمح ذاك النظام، كما إعترف به الخالد نفسه، إثنان من البارزانيين للبقاء معاً. هذا الوضع كان الأصعب في جل حياة الخالد ورفاقه سواء أكان قبل ذلك أم بعده.

لأسباب سياسية من قبل النظام السوفياتي، فإنه طيلة سنوات النفي للخالد ورفاقه ومن ثم بعد رفع قرار النفي عنهم، لم تنشر كلمة واحدة وحيدة في الصحافة السوفياتية عنهم وعن حياتهم: وكأنه لاوجود للخالد ورفاقه في هذا العالم أو أن الأرض قد إبتلعتهم. ولكن وإن كتب حياة الخالد ورفاقه وعن المسألة القومية

الكورديـة كجـزء منهـا بعـض الكتابـات، لكنهـا لأسـباب معينة((بقيت في سرية تامة)) في المحفظة الفولاذية لمدراء وموظفي الدولة السوفياتية.

وبالرغم من أن الخالد من مكان منفاه وحسب الإمكانات والمجالات المتاحة كان يرسل بريدياً رسائل إلى ستالين، حول ما يجري بحقه ورفاقه من ظلم وغبن، طالباً منهم أن يخرجهم من حياة المنفى ويحررهم وأن يتم إستقباله كزعيم للكورد، لكنه لم يستلم رداً منه، كان هذا يثير القلق لدى الخالد لأسباب عدة: السبب الأول، هو الخوف من أن تلك الرسائل لم تصل إلى أيدي ستالين. الثاني، أنها تصله لكنه لايرغب في الرد. والثالث ، هو انه يجهل بمصيرهم ووضعهم. والسبب الرابع ، هو أنه لا رغبة لديه في الإهتمام بمصيرهم وبالمسألة الكوردية المرتبطة بقضيتهم.

لكن ما حدث هو أن وزارة الداخلية في الإتحاد السوفياتي والتي كانت تتبعها في تلك الأونة KGB (لجنة امن الدولة)، قد جهزت ملفاً خاصاً عن الخالد ورفاقه، عن سبب نفيهم وعن أوضاعهم، الذي وضعه ستالين في خزانته الفولاذية الشخصية، الذي كان يحتفظ فيها فقط ببعض الوثائق الضرورية جداً والمهمة بالنسبة للدولة السوفياتية.

إن إقدام مسؤولي أمن الدولة (KGB) على تقديم تقريرهم إلى ستالين حول إقامة العلاقات والإتصالات مع مصطفى البارزاني ،

لابد أنه قد حصلت في إطار إهتمام ستالين وبطلب منه، وقد سمح لهم ستالين الإستمرار في إقامة الروابط والعلاقات مع البارزاني، ولكن شريطة أن لايعلم الرئيس الآذري ميرجعفر باقيروف بأي شكل من الأشكال شيئاً عن ذلك وأن لايتمكن مستقبلاً من معرفة هذه العلاقات. إن كل هذا يؤكد على أن نفي الخالد ورفاق دربه من آذربيجان قد تم بنميمة من باقيروف ونفذ بأيدي بعض المسؤولين العاملين في وزارة الداخلية. وكما تبين فيما بعد فإن ستالين أبدى عن إستغرابه من مما جرى من غبن وإجحاف في هذا المجال بحق الخالد ورفاقه. وبإعتقادي أنه لولا موت ستالين المفاجئ والمبكر لغير وضع الخالد وأتباعه نحو الأفضل وحررهم من تحت سلطة المنفى، حسب ماورد في التقارير الواقعية والمنطقية من مسؤولي KGB (لجنة امن الدولة) من أمثال جنرال هيئة أمن الدولة پاڤل سودوپولاتوف[1] الذي كتب حول ذلك في مذكراته. ونلاحظ من مذكراته، بأنه بالإضافة إلى ذلك، كان معجباً بالخالد كسياسي مثقف وبعيد النظر.

إن مقالتي هذه في إطارها العام، جاءت كملخص لبحث- كتابي هذا الذي يتناول أعمال البارزاني الخالد في الإتحاد السوفياتي السابق، والذي هو الآن قيد الإنجاز، إلا أنني لست

١ـ پاڤل سود پيلاتوف: جنرال في هيئة أمن الدولة كان يأتي بعد بيريا، أعتقل وأودع سجن خاص بالسياسيين الكبار في بلدة فلاديمير التي تقع شمال شرق موسكو، تعاطف مع البارزاني وأصبح من اصدقاء الكورد (المترجم).

بصدد الوقوف مفصلاً حول الروابط والعلاقات بين الخالد وباقيروف. لكنني سأكتفي فقط وبإختصار عرض الأسباب المؤدية إلى خلق عداوة باقيروف تجاه الخالد.

إتخذ الجيش السوفياتي في إجتماعه خلال الحرب العالمية الثانية قراراً بالدخول مع القوات الغربية ولاسيما الأمريكية والإنجليزية. إلى شمال إيران وبخاصة إلى آذربيجان الأيرانية وشمال كوردستان الشرقية. حينها رأى باقيروف بأن الوقت قد حان لضم آذربيجان الإيرانية إلى جمهورية آذربيجان السوفياتية. وعندما ذهب البارزاني الخالد مع رفاقه في عام ١٩٤٧ إلى آذربيجان، وحتى قبل ذهابه كان يعلم بخطة باقيروف الهادفة إلى ضم كوردستان التي كانت مركزها مهاباد إلى حدود آذربيجان الإيرانية كمنطقة ذات حكم ذاتي، حينها وقف الخالد بشدة ضد خطة الرئيس الأذري قائلاً له: ((بأن الكورد شعب له خصوصيته وإن مسألة الكورد وكوردستان مسألة مختلفة ومستقلة، ومن غير الممكن أن تصبح كوردستان الشرقية ذيلاً لآذربيجان ، لأن الكورد لهم كامل الحقوق في بناء جمهورية خاصة ومستقلة بهم)) وبسبب هذا الموقف الشجاع والجريء تجاه شخص كباقيروف، الذي كان يعتبر في نظر الأخرين ستالين قفقاس، قيام الأخير (باقيروف) بحملة شعواء ضد الخالد أمام القيادة السوفياتية، متهماً إياه بأنه يخطط حين تحين الفرصة إختراق الحدود مع إيران بدعم من مسلحيه والوصول إلى كوردستان

وإقامة إمارة كوردية هناك يكون هو على رأسها، ولكن إمارة على النمط الإقطاعي، الأمر الذي كان يثير إستفزاز السوفيات. وبالرغم من أن كلام باقيروف اللامنطقي هذا كان ضد العقل، لكن وجد له أرضية في أذهان بعض المسؤولين من الأمن السوفياتي. ولمنع حدوث ذلك وبتشجيع من باقيروف، تم إتخاذ قرار صارم بإبعاد البارزاني ومقاتليه عن حدود إيران، والأصح عن حدود كوردستان، لأن آذربيجان تتاخم مع جزئين من كوردستان الشمالية والشرقية (كوردستان الشمالية متاخمة مع جمهورية آذربيجان في ناخيچيڤان ذات الحكم الذاتي)[٢] ولمواجهة هذا الخطر، أتخذ القرار، بنقل البارزاني الخالد مع رفاقه إلى إحدى جمهوريات اسيا الوسطي ـ أوزبكستان البعيدة عن حدود كوردستان، وقد أحرز باقيروف النصر في هذا المجال، حيث حقق مراميه.

ومما يؤسف له، أن القائد الكوردي وبسبب عدم إستلامه أجوبة من ستالين، كان يتألم جداً، وحتى آخر أيامه، لم يكن يعلم بأن ستالين كان على علم جيد بوضعه ووضع رفاقه، وعلى أن ستالين نفسه قد أعطى أوامر إلى مسؤولي هيئة أمن الدولة بإقامة العلاقات معه، بالطبع، لن أتمكن هنا تبرير أعمال ستالين: ومن المؤكد أنه لولم يقم ستالين نظاماً توتوليتارياً

٢ـ ناخيچيڤان: جمهورية تدخل في إطار الحكم الآذربيجاني ماوراء أرمينيا حيث الأغلبية الأذرية على الحدود مع تركيا (المترجم).

دكتاتورياً، لما أستطاع أمثال باقيروف تحقيق مآربه الظالمة بحق البارزاني، لولا الدكتاتورية لما كانت هناك نظام النفي بحق البارزاني البار وأتباعه.

إن ما جعلني بدفع الحدث إلى الأمام هو لعرض الأسباب المؤدية إلى حدوث فراغ في الفترة الزمنية التي أمضاها الزعيم الكوردي في الإتحاد السوفياتي ولماذا لم تحظى بإهتمام من قبل المثقفين ولم يتم تقييم حياة وأعمال الخالد خلالها. فقط الآن باتت تتوفر هناك بعض الوثائق والأثباتات عن حياته وأعماله. إضافة إلى ذلك، فإنه في أعقاب زيارتي الأولى لعام ٢٠٠٢ إلى أقليم كوردستان عندما تسنى لي الأطلاع على بحث السيد مسعود بارزاني الذي يقع في مجلدين بعنوان ((البارزاني والحركة التحررية الكوردية)) وما رأيت فيهما من معلومات وإثباتات قيمة وضرورية عن حياة وأعمال الخالد في الأتحاد السوفياتي السابق ولاسيما رسالته الموجهة إلى باقيروف، حينها قررت وضع عمل يتناول حياة وأعمال البارزاني هناك. وفي هذا المجال فإن وضعي كباحث أفضل بكثير من وضع الآخرين لعدة أسباب. السبب الأول، هو أنني متخصص في تأريخ كوردستان. والثاني، كوني متخصص في تأريخ الإتحاد السوفياتي، إضافة إلى إطلاعي على أنظمة ونظم الحكم الإشتراكي السوفياتي. وهذا مايميزني عن أولئك المؤرخين الذين تعلموا وعاشوا خارج الإتحاد السوفياتي ومهما كانوا أكثر علماً وفطنة مني فإنهم لن يتمكنوا مثلي من

إعداد بحث كامل متكامل في هذا المضمار. والسبب الثالث، هو أنني قد سمعت معلومات من أبناء أولئك الذين إلتقوا بالبارزاني وسمعوا منه خلال زيارته إلى أرمينيا وبخاصة إلى قريتين كورديتين في جمهورية أرمينيا.

وإلى جانب قلة المصادر والأدلة والإثباتات حول حياة ونشاطات البارزاني في الأتحاد السوفياتي السابق، فإن تاريخه الشخصي وأعماله هناك كما هو الحال بالنسبة لتأريخ كوردستان تعرض إلى التشويه والتزييف بشكل مقصود أو بدونها وفقاً للإرادة الشخصية أو دونها، بشكل هادف أوبسبب الإلمام القليل بجوانب القضيه، ناهيك عن أنه قيّم تقييماً خاطئاً. ويدخل في هذا الإطار التقييم الخاطئ لسبب ذهاب مصطفى بارزاني ومقاتليه إلى الإتحاد السوفياتي.

إن اللجنة العالمية لحماية حقوق الانسان في الشرق الأوسط المعروفة باسم ((Human rights watch))، مبدية عن تعاطفها إزاء الحركة الكوردية، وردت في تقريرها، بأن جمهورية مهاباد[1] لم تعش سوى عام واحد ((وعندها فرّ البارزاني ومعه آلاف المشاركين إلى الإتحاد السوفياتي)) إن اللجنة المذكورة وقد وقعت في خطيئتين الأولى أن البارزاني ذهب إلى السوفياتي ومعه فقط (٥٠٠) مسلح، والثانية إن الخالد أبداً لن يفر بل ذهب إلى الإتحاد السوفياتي عن رغبة وبشكل مقصود وهادف.

١ـ جمهوريه كوردستان عاصمتها مهاباد (المترجم).

لنفكر معاً، ما الهدف من ذهاب البارزاني إلى الإتحاد السوفياتي؟ ولماذا لم يذهب لوحده او برفقة بضعة أشخاص، بل رافقه ٥٠٠ مسلح؟

إن البارزاني الخالد كسياسي بعيد النظر، ولا سيما بعد فشل الإنتفاضة في سنوات ١٩٤٣- ١٩٤٥ في كوردستان الجنوبية وسقوط جمهورية كوردستان وعاصمتها مهاباد في كوردستان الشرقية ، قد رأى بأن الكورد قادرون على المضي قدماً بحركتهم التحررية والإستمرار في نضالهم لمئات السنين في جبال كردستان الشاهقة والمحصنة التي لاتقهر، وأن الإنتصار محال دون دعم خارجي وبخاصة من إحدى الدول العظمي. وهذا لا يعني أن الكورد ليسوا بأقوياء وشجعان، لكن وبما أن قوى الأعداء المحتلة لكوردستان، أقوى عسكرياً بعشرات المرات من القوة الكوردية، فهم يمتلكون دولاً وحدودهم مفتوحة ويستطيعون شراء تلك الأسلحة وتوفيرها، في الوقت الذي يحاصر فيه الكورد من الإتجاهات الأربع، لذلك فأن توفير وإدخال الأسلحة بالنسبة لهم مسألة معقدة. وقد رأى البارزاني أن تلك الدولة العظمى والقوية هي الإتحاد السوفياتي بسبب قرب حدود ها، لابل الأصح، بسبب مجاورتها حدودياً.

أما السبب الأخر في إختيار الإتحاد السوفياتي كداعم للحركة الكوردية، هو أن الدولة السوفياتية، كانت تبدي تعاطفها مع إنشاء جمهورية مهاباد، لكن ليس بهذا القدر المعلن لأسباب سياسية، والأصح، بسبب خوفها من تعكير العلاقات والروابط

مع دول الجوار تركيا وإيران. وفي هذا المجال، أي من المفيد إجراء عرض سريع لوجهة نظر حول الموقف السوفياتي من جمهورية كوردستان. إن بعض من وجهات النظر تلك غير صحيحة، وهي أن جمهورية كوردستان تشكلت بدعم من الإتحاد السوفياتي أو على يده، وبعد ذلك قام بخيانة الكورد على أثر انسحاب قواته من جمهورية مهاباد وتركها دون سند تواجه لوحدها هجوم شاهنشاه إيران. إن الغلطة الأولى لوجهة النظر هذه تكمن في أن الجيش السوفياتي لم يدخل حقيقة في إقليم مهاباد، بل وقف على الشمال منه طبقاً للإتفاقية المبرمة مع كل من إنجلترا وأمريكا. فالجيش السوفياتي لم يبلغ مهاباد، بل إستقر في شمال كوردستان الشرقية. وبهذا الشكل، فإن أغلب أراضي كوردستان الشرقية بما فيها منطقة مهاباد، شكلت منطقة طبيعية بين الجيشين السوفياتي والإنجليزي. ولكن كانت هناك صلات وثيقة بين رؤساء الجيش السوفياتي وقادة مهاباد وزياراتهم إليها، وذلك لأنه بعد قدوم ذلك الجيش إلى داخل آذربيجان الإيرانية وشمال كوردستان الشرقية، فإن الشرطة وموظفي دولة إيران لم تنسحب فقط من شمال كوردستان الشرقية بل من كل أراضي كوردستان الشرقية. وقد وفر ذلك الفرصة للكورد في كوردستان الشرقية، بتحقيق آمالهم وطموحاتهم التأريخية من خلال إعلان إستقلالهم وتشكيل جمهوريتهم على جزء من أراضي كوردستان الشرقية والتحرر من سلطة ونفوذ نظام إيران المستبد. وبهذا الشكل، لم يكن السوفيات

من قام بتأسيس جمهورية كوردستان عاصمتها مهاباد وقدموها، كما يقال، جاهزة للكورد، بل أقامها الكورد بأنفسهم. لقد جاءت ثورة وإنتفاضة كورد في كوردستان الشرقية تعبيراً عن العوامل الكوردستانية والكوردية في الداخل، وليس أن السوفييت هم من أقاموا للكورد جمهورية ولكن وجود الجيش السوفياتي في شمال كوردستان الشرقية وخروج قوات الدولة الإيرانية من عموم أراضي كوردستان الشرقية، كما أسلفنا الذكر، أعطت للكورد هناك فرصة وإمكانيات نحو تحقيق مآربهم التأريخية. وإن ماجرى بالفعل، هو انه عندما طالبت كل من إنجلترا وأمريكا من الإتحاد السوفياتي أن يحذو حذو أنجلترا بسحب قواته من اراضي إيران وإخضاعه لتنفيذ القرار، حرمت جمهورية كوردستان من سند الجيش السوفياتي ولو أن وجود القوات السوفياتية كان خارج حدودها. إلا أن الطامة الكبرى والحقيقية بالنسبة لمصير كوردستان في تلك الفترة، عندما إنسحب الجيش السوفياتي من داخل آذربيجان الإيرانية ومن شمال كوردستان الشرقية وقيام الجيش الإيراني بالهجوم على هذه الأقاليم ومن ثم تكريس سلطة نظام الشاه من جديد في كوردستان والإنتقام من الكورد والآذريين بسبب خروجهما من تحت سيطرة النفوذ الإيراني وإعلانهما الإستقلال للآذريين والكورد وإعتبار ذلك خيانة بحق دولة إيران.

خلال تأسيس جمهورية كوردستان وصل البارزاني الخالد برفقة الآلاف من مسلحيه من كوردستان الجنوبية واضعا نفسه و رفاقه

خدمة تلك الجمهورية. وأصبح رئيساً للأركان فيها وتكون جيش الجمهورية من (بيشمركته) النخبة ولعب البارزاني دوراً مميزاً في مجال تقوية الدفاع للجمهورية. عندما هاجم الجيش الإيراني جمهورية كوردستان بهدف تصفيتها وإعادة سلطة الدولة الإيرانية على جزء من كوردستان الشرقية ومحا سبة الكورد هناك، فإن الشخصية الوطنية المرموقة والبطلة رئيس جمهورية كوردستان قاضي محمد، قد إتخذ قراره بالتضحية في سبيل شعبه والإستسلام للحكومة الإيرانية حرصاً على صون وحماية شعبه. وكان يدرك بإنه لولم يستسلم للنظام الإيراني، فإن الأخير سينتقم من المواطنين، مادام مقاومة الكورد ضد القوات الإيرانية المسلحة والكبيرة غير ممكنة . وبالرغم من إدراك البارزاني الخالد لهذه المسألة لكنه أصر بكل مالديه من قوة إستخدام قواته في حماية الجمهورية، لكن قاضي محمد لم يتفق مع هذا الرأي. حينها قرر الزعيم الكوردي مصطفى بارزاني التوجه برفقة جزء من قواته إلى الإتحاد السوفياتي لكسب سنده ودعمه مستقبلاً للحركة التحررية الكوردية. واقترح على قاضي محمد أن يرافقه إلى الإتحاد السوفياتي، ولكنه رفض بسبب ماذكر أعلاه، وإكتفى بتسليم علم كوردستان كرمز للحرية وإستقلال جمهورية كوردستان الذي كان يرفرف على مباني إدارة الجمهورية بيد البارزاني قائلاً له: ((انت الوحيد القادر على حماية هذا العلم ورفعه مرة ثانية كرمز لحرية وإستقلال كوردستان، بعد ذلك ودعا الزعيمان بعضهما البعض)).

أختار البارزاني طريقاً شاقاً وطويلاً، وكما وصف مسعود البارزاني ذاك الطريق، بإنه تأريخي يبدأ من كردستان الجنوبية والشرقية إلى حدود الأتحاد السوفياتي بعد عبوره نهر آراس في أعقاب دخوله عدة معارك مع الجيش الشاهنشاهي الذي كان يتعاقبه.

كانت موسكو مترددة بإتخاذ قرار حول قبول البارزاني وأنصاره ال(٥٠٠) داخل حدود الدولة السوفياتية، لكن بعد وصولهم إلى شواطئ آراس، سمحت لهم موسكو بالدخول إلى جمهورية **ناخيچيڤان** ذات الحكم الذاتي الواقعة ماوراء جمهورية أرمينيا ، لكنها كانت تعد جزءاً من جمهورية آذربيجان. وهنا أيضاً فإن الخالد، كما كان دوماً، أبدى إهتمامه كآبائه بقواته- (بيشمرگه): فبعد أن أدار عملية عبور الجميع لنهر آراس، إجتاز النهر إلى الضفة الأخرى ملتحقاً بهم. ومنذ ذلك اليوم، كما بينا سابقاً، يبدأ نضال البارزاني داخل حدود الدولة السوفياتية من أجل تأمين دعمها للحركة التحررية الكوردية. لقد تم في البداية إسكان البارزانيين على تخوم كوردستان الحمراء[1] ثم بالقرب من

١ ـ كوردستان الحمراء (Kurdstana sor) كوردستان الحمراء منطقة كانت ذات حكم ذاتي في أذربيجان وعاصمتها لاجين عام ١٩٢٣ ودخلت في تكوينها أربعة مقاطعات وهي: كالباجار كوباتلو، زنگيلان و لاجين.

تشكلت كوردستان الحمراء كمنطقة إدارية خاصة ذات الحكم الذاتي ذي الأغلبية الكوردية بقرار من سيرغي ميرونوفيج كيروف السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي الأذري (قتل عام ١٩٣٤).

باكو عاصمة أذربيجان بناء على طلب وموافقة موسكو، ولفترة لم يتم تجريدهم من أسلحتهم بل بالعكس ساعدهم فنياً وقدموا لهم قطع غيار في إطار التدريبات العسكرية، لكن وبعد وقوف البارزاني بحدة ضد آراء ومخططات باقيروف فيما يتعلق بالحركة التحررية الكوردية، لجأت الأوساط الحاكمة إلى إرسال البارزاني وأتباعه إلى إحدى جمهوريات آسيا الوسطى أوزبكستان حيث أمضى هنا البارزاني حياة النفي بكافة شروطه. و وفقاً لنصوص ذاك القانون، لم يترك بارزانيان للعيش سوية إذ وزع كل شخص منهم على قرية. أما البارزاني فتم إسكانه وحيداً دون رفاقه في إحدى الكولخوزات. ولمواصلة حياته وتدبير شؤونه اضطر أن يعمل محاسباً للكولخوز، لكن المسألة ألتي كانت تقلقه بشكل خاص إفتراقه عن أقرانه، حيث كان يمنع عليهم مغادرة أماكن سكناهم ويحرم عليهم الزيارات. إن العزلة والوضع الإقتصادي والحياة الصعبة أثرت سلباً على نفسياتهم وخلقت لديهم اليأس. لكن وضع الخالد كان الأصعب. كان يشعر بالمسؤولية تجاه رفاقه، مادام

في عام ١٩٣١ وبحجة إجراء تغيرات إدارية في أذربيجان تم القضاء على كوردستان الحمراء بعد أن عاشت حوالي ثمان سنوات وقد بدأت فيها بتدريس اللغة الكوردية وآدابها في المدارس كما وفتح معهد تربوي في مدينة شوشي، لايستعبد أن تكون هذه الخطوة قد تمت إرضاءً للدولة التركية. وتمكنت القوات الأرمنية من ضمها مع ناغورني قرباخ نهائياً إلى أرمينيا عام ١٩٩٢ بدعم من الجيش الروسي (المترجم).

هو السبب في غربتهم ووضعهم تحت نظام النفي الصارم. لكن الخالد كان يقاوم بإرادته القوية، يقيناً منه بأن هزيمته ستزيد من تحطيم معنويات أنصاره.

بعد وفاة ستالين عام ١٩٥٣ وخلال فترة معينة، وبشكل غير معلن خففت المراقبة على البارزانيين في حياة المنفى. إتخذ الخالد قراره بالعمل من أجل تغيير هذا الوضع وإستغلال هذه الفرصة والسفر سراً إلى موسكو على أمل أن ينقذ نفسه ورفاقه من هذا الوضع الصعب وعلى أمل أن يحقق الهدف الذي جاء من أجله إلى الإتحاد السوفياتي. وعلى الرغم من تخفيف المراقبة لكنها كانت فاعله وبالأخص على القائد. كان البارزاني يفكر بأن يتم سفره لموسكو، دون أن يعلم بذلك أحد حتى لايعيقه. في ذلك الوقت لم يكن الإرهاب موجوداً كما هو الآن؛ لذلك كانت إجراءات السفر وخاصة بالطائرة سهلة جداً، حيث كان يكفي للمسافر لكي يسافر أن يملك تذكرة طائرة. إن البارزاني لم يكن يملك بطاقة منفى، وهذه ليست مشكلة، مادام بيع التذاكر كان يتم بدون بطاقة الهوية. كان عليه فقط إستحواذ ملابس جديدة لسفره إلى موسكو: طقم(بدلة)، گرافه (رباط) وأغراض أخرى شخصية. وحقق ذلك بمساعدة أتباعه الذين باتوا يزورونه وبخاصة من الذين كانوا يسكنون في قرى قريبة. وحلق القائد بالطائرة إلى موسكو. لقد علمت الأجهزة الأمنية والقيادة السوفياتية فقط بقدوم البارزاني إلى موسكو، عندما كان الأخير موجوداً في ساحة الكرملين، حيث مقر إقامة وعمل الرئيس

والقيادة السوفياتية، ودون إذن مسبق، نعم دخل الخالد ساحة الكرملين في وقت كان الطير يعجز عن التحليق فوق أسواره العالية والسميكة، لقوة الأجهزة الأمنية وأجهزة المراقبة. دخل الزعيم الكوردي ساحة الكرملين من جهة مدخل سپاسكيه، في وقت كان سكان موسكو وضيوفها يخافون ولا يتجرأون التقرب من ذاك المدخل خوفاً من العقوبة الصارمة. لا ننسى بأنه لفترة طويلة كانت تصدر فرمانات العسف والظلم للنظام الستاليني من الكرملين، لذلك كان الخوف وهيبة الكرملين مازالت تسيطر على عقول الناس حتى بعد وفاة ستالين.

كانت المرة الأولى والأخيرة أن يظهر شخص ويتجرأ مقدماً على هذه الخطوة المتسمة بالتهلكة. لقد اقدم الخالد على هذه الخطوة المغامراتية الكبيرة وبشجاعته التي لا مثيل لها، وهو يعلم مسبقاً بأنه لو أعلموا بقدومه إلى موسكو سيعيدونه إلى مكان منفاه قبل ان يتمكن من اللقاء بقادة السوفيات وكان تحقيق هذا الهدف صعباً إن لم يكن مستحيلاً.

كان القائد يعلم جيداً، بأنه إن لم يثير مشكلة وفعل ضجة كبيرة أثناء دخوله إلى ساحة الكرملين دون إذن، لن يستطع إجبار القيادة السوفياتية على إستقباله، لقد نجح البارزاني في مسعاه، حيث أستقبل من قبل مسؤولي اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ولاسيما السكرتير الأول اللجنة المركزية رئيس الحكومة السوفياتية نيكيتا خروشوف. وطلب البارزاني منه التخلي عن

نظرة القيادة السوفياتية الخاطئة والسلبية في عهد ستالين تجاه حركة التحرر الكوردية وضرورة تغييرها لتتحول إلى رؤية خاصة به تكون فاعلة. وتمكن بشكل خاص من خلق قناعة لدى خروشوف بأن الحركة الكوردية ليست بحركة إقطاعية ولا بعميلة، كما هم يوصمونها، دون سبب وبدون أساس وإلى درجة ما وبتشجيع من تركيا ومن باقيروف الآذربيجاني قام وزير خارجية الإتحاد السوفياتي آنذاك ڤيچيسلاف مولوتوڤ عام ١٩٤٧ بالهجوم على الحركة الكوردية. إن هذا التقييم الخاطئ، كان يعني بأن الكورد يطالبون تشكيل إمارة كوردية قروسطيه، وفي إطار تحقيق رغبتهم الإنفصالية هذه تحولوا إلى عملاء للأمبريالية الغربية حسب الوصف السوفياتي للدول العظمي في أوربا الغربية، وعلى أن القوى الإمبريالية تلك تريد إلحاق الضرر بالإتحاد السوفياتي عن طريق استخدام الكورد . بالرغم من سخافة هذا الكلام ، لكن حكومة ستالين كانت تبدي عن ثقتها بتلك الإتهامات.

لقد وضح الخالد، لخروشوف بأن الكورد في كوردستان الجنوبية (العراقية) وكذلك قيادة الحركة التحررية الكوردية برئاسته، قد أخذت بمباديء جديدة ديمقراطية منذ نشوء الحزب الديمقراطي الكردستاني في عام ١٩٤٦ ويطالبون بالتحرر من سيطرة الحكومة العراقية الرجعية والعنصرية. كما أخذ يشرح، بأن بريطانيا تدعم النظام العراقي لأنها تنظر إلى العراق كمستعمرة لها، لذلك فإنها تساندها علناً ضد الحركة الكوردية. كما أنها لن تكتف فقط بدعم

ذاك النظام عسكرياً، لكنها شاركت بنفسها، بطائراتها الحربية في إنهاء الثورة الكوردية في سنوات ١٩٤٣- ١٩٤٥، ثم أضاف البارزاني الخالد: لقد خضنا الحرب مباشرة مع انكلترا كدولة إمبريالية، كيف إذن أصبحنا فيما بعد عملاء لها.

أفهم البارزاني القيادة السوفياتية، بإنه لا هو ولا الحزب الديمقراطي الكوردستاني شيوعيون، إلا أنه لو يدعم الإتحاد السوفياتي الشعب الكوردي وحركته التحررية أسوة ببقية شعوب الشرق الأوسط، فإن الكورد مستعدون دوماً بشكل صريح وبكل الوفاء الأرتباط معه وإعتبار نفسه حليفاً له.

إن كلمة الحق هذه وصراحة البارزاني خلقت ثقة لدى القيادة السوفياتية تجاه الحركة التحررية الكردية بقيادته إضافة إلى إنه خلق لدى خروشوف عطف خاص تجاه شخصه والحركة الكوردية. أرى من الضروري هنا القول، بأن خروشوف كان ينعت كسياسي بصاحب إرادة وهذا يعني أنه كان يرسم سياسته وفقاً لمشاعره وبسهولة. وبغض النظر عن الدوافع السياسية ودون أن يأخذ بالحسبان مصالح الدولة السوفياتية، فإنه وحتى نهاية رئاسته وقيادته للدولة السوفياتية عام١٩٦٤وطبقاً لمزاياه الشخصية دعم بشكل علني وواضح نضال الكورد في كوردستان الجنوبية بقيادة البارزاني الخالد، مع أنه كان يدرك جيداً بأن هذا الدعم هو ضد إرادة الجارتين تركيا وإيران إضافة إلى أن ذلك كان مبعث إزعاج لهما. عندما إندلعت من جديد في عام ١٩٦١ الثورة الكوردية في

كوردستان الجنوبية وقيام الحكومة العراقية بالهجوم على الكورد، سمحت الحكومة السوفياتية لكوردها بأن يدعموا علناً نضال أخوتهم إعلامياً ولاسيما في الأخبار باللغة الكوردية التي بثتها إذاعة أرمينيا في يريڤان ـ ولو رأيتم، كما يقال كيف أن المثقفين الكورد المعروفين وأساتذة الجامعات في يريڤان من الكورد راحوا وبحماس غير مسبوق يتحدثون عبر الراديو عندما سمح لهم معبرين عن تأييدهم لثورة إخوانهم في كوردستان الجنوبية. للمرة الأولى في تأريخ أكراد الأتحاد السوفياتي يتسنى لهم الفرصة ليعبروا عن مشاعرهم كما يجب.

وبإزاحة خروشوف من سدة الرئاسة، فقدت القيادة السوفياتية رويداً رويداً حماسها تجاه الحركة التحررية الكوردية وأخذت تغير موقفها منها. وفي أواسط السبعينات من القرن الماضي، عندما كان صدام حسين نائباً للرئيس العراقي، شكلت الجبهة الوطنية في العراق بمشاركة حزبا البعث والشيوعي. وعندما إقترحت الحكومة العراقية على البارزاني الخالد الدخول بالحزب الديمقراطي الكوردستاني إلى الجبهة المذكورة مقابل ان يتعهد النظام بإعطاء الكورد حكما ذاتياً أوسع، إلا أن البارزاني إشترط على النظام أن تدخل كركوك ضمن جغرافية الحكم الذاتي. لم يكن النظام مستعداً ليخطو تلك الخطوة وإعطاء كركوك للكورد حينها هرع صدام إلى موسكو راجياً من القيادة السوفياتية بأن تقوم بإجبار البارزاني على الدخول في الجبهة وترك مسألة كركوك جانباً.

لهذا السبب زار صدام موسكو، الذي كسب من وراء دخول الشيوعيين الجبهة ثقة وتأييد القيادة السوفياتية التي بدورها طالبت البارزاني بالدخول إلى تلك الجبهة. إلا أن الخالد لم يكن من أولئك القادة التخلي عن مبادئه والتوقيع على اتفاقية الحكم الذاتي دون كركوك وقد أدى ذلك إلى تغيير الموقف السوفياتي من الكورد لدرجة تحولت صداقتهم إلى عداوة وتركت حل قضية كركوك ليومنا هذا.

لم يكتف الأتحاد السوفياتي فقط بقطع العلاقات مع البارزاني والحركة الكوردية بل بالإضافة إلى ذلك، عاد إلى نظرة النظام الستاليني تجاه الحركة الكوردية ونعتها بالحركة العشائرية الرجعية.

لابد من الوقوف معمقاً وتحليل دوافع ورؤيا الحزب الشيوعي السوفياتي والأحزاب الشيوعية في الدول المحتلة لكوردستان تجاه الحركة الكوردية في هذه البلدان، وتبيان مواقفهم ونظرتهم الخاطئة من جهة، ومن جهة ثانية عرض النظرة البارزانية الصحيحة تجاه تلك المواقف وإيضاح المضمون التحرري للحركة القومية الكوردية. كما أود هنا تعرية المحاولات ألتي إستهدفت تشويه أهداف الخالد وأعماله في الإتحاد السوفياتي السابق والتي لا أساس لها من الصحة.

بداية، من الضروري الإشارة بمكان، بأن أيدولوجية الأحزاب الشيوعية هذه تجاه الحركة التحررية الكوردية لم تأخذ بعين الإعتبار المصالح القومية للكورد، وإنما وضعت بالتوافق مع

سياسة الدولة السوفياتية تجاه الدول المحتلة لكوردستان وبما أن الحزب الشيوعي السوفياتي كان حزباً قائداً للدولة وراسماً لسياستها ، لذلك فإن هذا الحزب لم يعمل وفق المفهوم النظري العام للماركسية ـ اللينينية بل إنطلق من مفهوم أيدولوجية الدولة فيما يتعلق بوضع تصورات خاصة نحو الحركة التحررية الكوردية. وبما أن الدولة السوفياتية ومعها حزبها الشيوعي كانت تقيم سياسة الصداقة وحسن الجوار والتعاون مع الدول المحتلة لكوردستان، فإن سياسة تلك الدولة وحزبها القائد كانت بالضد من مصالح الحركة التحررية الكردية التي كانت في حالة مواجهة مع الدوائر الحاكمة للدول المحتلة لكوردستان. لو ساندت الدولة السوفياتية وحزبها الشيوعي الحركة التحررية الكوردية أسوة ببقية حركات التحرر للشعوب الأخرى، فإنها لواجهت وبشكل غير مباشر سياسة الصداقة والتعاون وحسن الجوار مع الدول المحتلة لكوردستان. لكن ذلك لم يدخل في نطاق مصلحة الدول السوفياتية. كانت الدولة السوفياتية تعتبر فقط الدول العظمى والقوية في الغرب، والتي كانت تسميها بالإمبريالية، أعداء لها، بينما أقامت علاقات صداقة مع دول الجوار لحماية نظامها الإشتراكي واستخدامها لمواجهة الدول العظمى مضحية بالشعب الكوردي وحركته التحررية في سبيل سياستهم تلك. لكنها تفادياً للوقوع في عداء مباشر مع الحركة التحررية الكوردية وحتى لا تشوه سمعتها في المجتمع الدولي، فإن الدولة السوفياتية وحزبها

الشيوعي إنتهجت من وراء الستار سياسة معادية للشعب الكوردي وحركته التحررية. هذه كانت سياسة خداع الكورد، التي وضعت رؤوسهم على أوسدة من حرير. نعم لقد مارست الدولة السوفياتية وحزبها الشيوعي سياستها هذه مع الدول المحتلة لكوردستان (المجاورة لها وفي الوقت نفسه مع الحركة الكوردية وعلى مبدأ (أن لايحترق السيخ ولا اللحمة (الكباب))، ولكن حقيقة فالكورد وحركته كانوا يحترقون. ولتوضيح الأهداف النبيلة للخالد بالنسبة لحركة شعبه التحررية وأخيراً لتعرية محاولات تشوية تلك الأهداف، فإنني وبعد هذا المدخل، سأقف بشكل أدق عند هذه القضية:

حسب رؤية أيديولوجية الحزب الشيوعي السوفياتي وإرشاداتها لحلفاءها من الأحزاب الشيوعية في الدول المحتلة لكوردستان، كان على الكورد الإنتظار حتى تتحقق الديمقراطية في تلك البلدان بيد الشيوعيين والأصح حتى بناء نظام الحكم السوفياتي الإشتراكي، كان يمكن للكورد في إطار الديمقراطية وضمن حدود تلك الدول أن تنال حقوقها القومية. وإنطلاقاً من هذه النظرة، لم يملك الكورد حق الإنفصال وتشكيل دولته ((كوردستان)) وفصلها عن دول الإحتلال و كانوا ينعتون ذلك بالإنفصالية، التي كانت تعني لديهم الرجعية أو شيئاً سيئاً من قبيل العنصرية بل ويقيمونها بالتطرف القومي والرجعية. كانت هذه النظرية تعطي الحق للدول المحتلة لكوردستان ولشعوبها المسيطرة بالوجود في حين تلغي حق تشكيل الدولة بالنسبة للكورد.

كان مطلوباً من الكورد تنظيم أنفسهم في إطار الأحزاب الشيوعية لتلك البلدان، لتقويتهم وتقديم الخدمات لهم من أجل الإتيان بالنظم الديمقراطية في هذه البلدان. وبهذا الشكل برز اليسار الكوردي، الذي ضم عموماً في صفوفه الوطنيين الكورد، لكنهم في الحقيقة، وبشكل غير مباشر ودون أن يدركوا نتائج ممارساتهم تلك، كانوا ينسفون الركائز الكوردية ويجعلون في الوقت نفسه أنفسهم قرابين للأيدولوجية الشيوعية، فقد برز بينهم لينينيين و ستالينيين وتروتسكيين وماويين.... الخ إلا أنهم لن يلتزموا بكورديتهم.

إن البارزاني الخالد كسياسي بعيد النظر ومحنك وكصاحب تجربة حياتيه ضخمة لن يستطيع قبول هذه الأيديولوجية وتلك الآراء، ويمكنني القول وبثقة مطلقة بإن البارزاني يعد الأول من القادة الكورد المعاصرين، وقف ضد هذه الرؤية وتلك الأيديولوجية، كما ودافع بجرأة عن رأيه في الإتحاد السوفياتي. لم يكتف البارزاني برفض رؤية الشيوعيين لابل فرض رأيه على قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي فيما يتعلق بأمور الحركة التحررية الكوردية. من الممكن تسمية ذلك بالظاهرة البارزانية ، لأنه لم يتجرأ أحد من قبله فرض أفكاره المخالفة للشيوعية، وفي موسكو حيث مركز الأيديولوجية الشيوعية، أن ذلك ينفى قبل كل شئ المقولة الغريبة ورؤيتها التي تقول عن البارزاني ((الجنرال الأحمر)) أي الشيوعي. ومن الجدير بالذكر، أن الخالد كان يتمسك بآرائه حين الضرورة، ليس فقط في اللقاءات المغلقة مع قادة السوفيات لابل وفي الأماكن

العامة دون خوف أو مجاملة. وإليكم هذا المثل:

عندما قدم البارزاني الخالد في عام ١٩٥٦ من موسكو إلى أرمينيا لزيارة مواطنيها من الكورد، أقبل أكراد أرمينيا مهرولين سواء من موظفي الحكومة في تلك الجمهورية السوفياتية أو من المثقفين الكورد المعروفين للقاء به، وفي إدارة تحرير الصحيفة الكوردية ((رياتازه))[1] في يريڤان، فإن أحد العاملين البارزين فى حكومه أرمينيا- النائب الأول وزير المواصلات المؤرخ والكاتب الكوردي نادوي خدو محمودوف [2] والذي لا أحد يشك في وطنيته، توجه إلى الخالد قائلاً:

- أن طريق تحرير الشعب الكوردي يمر عبر الماركسية - اللينينية والإيدولوجية الشيوعية.

١- رياتازه: الصحيفة الناطقة باسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرمني كانت تصدر باللغة الكوردية (المترجم).

٢ــ نادو محمودوف: مواليد عام ١٩٠٧ كان يقطن منطقة بحيرة سيفان في أرمينيا، عمل سكرتير أول لمناطق مختلفة مثل: ألاكاز، آخباران، أوكتيمبيريان وعمل لفترة قصيرة وزيراً. كان خلال (٢٠) سنة النائب الأول لوزير المواصلات في أرمينيا. كتب مجموعة أعمال أدبية منها قصة بعنوان: دواژو قمت بترجمتها عن الروسية إلى العربية وحصلت على موافقة قسم الرقابة وجهزت طباعتها في دار النشر دون أن تطبع حتى الآن. وأصدر عام ١٩٥٩ كتاب ((الشعب الكوردي)) باللغة الأرمنية (ملخص تأريخ الشعب الكوردي وكوردستان منذ أقدم العصور وحتى وقتنا الحاضر) وكان هذا أول كتاب من هذا النوع يصدر في يريڤان عام ١٩٩٢ في يريڤان (المترجم).

إستاء الخالد علناً من كلامه هذا، كعادته شد فكيه على بعضها البعض قائلاً له:

نادو، نادو نحن أيضا نعرف الماركسية ـ اللينينية، ونعرف الأيديولوجية الشيوعية ونعرف ايضاً الطرق والوسائل الأفضل لنيل حقوق الشعب الكوردي.

كان الخالد يدرك تماماً بأن هناك في موكب عملاء KGB (هيئة أمن الدولة)[٣] وموجود في الإجتماع. لكنه لن يبال بأن ينقل كلامه هذا الى القيادة، لقد أفصح عن رأيه في المكان اللازم، إنه الوحيد الذي استطاع الدفاع عن حقيقته بهذا الشكل.

برز مؤخراً بين الكورد (مثقف) بارانوي مصاب علناً بالعقدة الشخصية، الأسم الذي لا أريد ذكره هنا لكي لا أشوه عملي هذا، والذي سما البارزاني برجل KGB ((الأمن السوفياتي)). أنا لست زاعلاً على وجود هكذا أشخاص بين الكورد، لكن الذي يزعجني هو أن بعضا منا قد تحمله لدرجة معينة وإن بعضاً آخرين ساندوه ولو متأخراً، لكني سأرد على هذا البارانوي وإتباعه. لا أقف فقط عند هؤلاء لأنهم يريدون تشويه سمعة قائد الشعب الكوردي، الإسم الذي أصبح اليوم مقدساً لدى الشعب الكوردي برمته، لكنني أقف عندهم لأن هذا الكلام مزيف بكل وضوح وكما يقول المثل الكوردي

٣- تأسست في أعقاب ثورة إكتوبر تحت إسم (چيكا) (لجنة الطوارئ) على يد فيليكس أدموند وڤيچ دزير جنسكى الذي هو من أصل بولوني وتحول اسمها إلى مفوضية الشعب لأمن الدولة ثم إلى لجنة أمن الدولة (المترجم).

(Kirasê bê pêsîre) ((الجلباب المكشوف))، هذه التهمة المفضوحة العارية عن الصحة و التي تم تأليفها، تثير شبه لدي، قد يكون هناك أيادي أعداء الكورد وراء ذلك، ولا أستبعد أن يكون هذا ((المثقف)) عميل لأولئك الأعداء.

وبودي هنا عرض وجهة نظرى حول البارزاني الخالد إعتماداً على الأدلة والإثباتات.

إحدى جنرالات الأمن السوفياتي، الذي كان يعد أحد قيادي ذاك الجهاز والذي كان يعتبر الشخصية الثانية تقريباً بعد مديرها لافرانتي بريا عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي، بافل سودو پيلاتوف كتب في مذكراته عن لقاءاته مع البارزاني الخالد ويصفه بالسياسي الناضج والمثقف الكبير بالتأكيد، كان سود و پيلاتوف يقدم نفسه للبارزاني كعضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ولكن بإسم مستعار. لقد كتب سودو پيلاتوف في مذكراته عن حدث مرتبط بشخص البارزاني، موضحاً بأن البارزانيين بقيادة مصطفى بارزاني كانوا على حرص تام بعدم خروج اسرارهم إلى الخارج ولاسيما إلى الأمن السوفياتي. ويكتب سود و پيلاتوف بأن الأمن السوفياتي قد نجح في تجنيد أحد البارزانيين كعميل kgb، وبعد فترة إختفى ذاك الشخص عن الأنظار.

ويعتقد الجنرال بأن البارزانيين عندما علموا بأمره ابعدوه عن المجموعة، بأمر مباشر من مصطفى بارزاني. كما أنه كان تعمل في

الإتحاد السوفياتي هيئة امنية تتبع مصطفى بارزاني لمنع خروج معلومات وأسرار البارزانيين. أن الحدث الذي تم ذكره يكفي أن يكون رداً على الاشاعات المغرضة بحق البارزاني الذي لم يكن له علاقة مع الأمن السوفياتي، بالرغم من أنه تمكن من إستحواذ عاطفة شخص أمني كبير مثل سودو پيلاتوف تجاه نفسه وجعله سنداً للحركة الكوردية. بعد موت ستالين وقتل رفيقه الأقرب بيريا رمياً بالرصاص، إستلم خروشوف رئاسة الدولة، حينها قام بإعتقال جميع مسؤولي كي . غي . بي. KGB وحجب الثقة عنهم تجاه حكمه ورميهم في السجون ومن بينهم الجنرال سودو پيلاتوف.

وفي مذكراته، يقر سودو پيلاتوف بإنه من سجنه الخاص في مدينة فلاديمير كتب رسالة وأرسلها إلى الحكومة السوفياتية موضحاً فيها بأنه من مصلحة الإتحاد السوفياتي مساندة ودعم الحركة التحررية الكوردية بقيادة مصطفى بارزاني ثم يتابع في مذكراته: بأنه شعر بالسعادة، عندما علم بأن الحكومة السوفياتية اخذت بإقتراحه.

نعم لقد نجح البارزاني في كسب أصدقاء ومؤيدون للشعب الكوردي لحركته التحررية حتى في صفوف المخابرات السوفياتية كي . غي . بي.(KGB)، لأنه كما يقال حمل سيفه بشكل صحيح وبسبب وفاءه وإخلاصه زرع الثقة والصدق تجاه حركة شعبه.

إنني اقف عند كل هذه المسائل بشكل دقيق وسريع في بحثي هذا ليطلع شعبنا بشكل أفضل وأكمل على أعمال الخالد في الإتحاد

السوفياتي السابق وليعلم ماذا فعل ابنه البار وما نفذه من أعمال عظيمة وكبيرة لشعبه هذا وفي ظروف معقدة جداً.

أن البارزاني لم يقنع فقط من أمثال سودو پيلاتوف، لابل وغير من موقف الدولة السوفياتية التي تحولت من عدو إلى صديق، حيث إستطاع كسر الدوغماتية لدى القيادة السوفياتية التي تمسكت بها لسنوات طويلة وتغيير وجهة نظرها تجاه الحركة الكوردية من حركة اقطاعية عميلة إلى حركة تحرر وطني. ولو أن موقفها أصبحت سلبيا فيما بعد، لكنها في مرحلة معينة لعبت دوراً ايجابياً في مجال استكمال مستلزمات الحركة الكوردية ولاسيما في مجال تدويل القضية الكوردية.

بعد ان إعترفت القيادة السوفياتية بالبارزاني الخالد كزعيم للكورد وقبلت بأهدافه وطريقة معالجته في تحقيق مطاليب حركة التحرر الكوردية، سمحت لهُ بالإقامة في موسكو. وحصل على شقة في موسكو عاصمة الإتحاد السوفياتي، وبطلب منه، تم قبوله في أكاديمية العلوم الحربية من أجل المعرفة وإكمال واستكمال معلوماته في مجال الفنون الحربية.

أما المطلب الأهم الحيوي لديه، هو أن تباشر القيادة السوفياتية بتحسين أوضاع رفاقه في أوزباكستان اقتصادياً واجتماعياً. كما طالب الخالد القيادة السوفياتية بخلق وتهيئة أجواء مناسبة لهم ليتمكنوا من تطوير أنفسهم علمياً وإستكمال دراساتهم ولكن إرتباط قلة فقط من البارزانيين بالعلم، مسؤولية لا تقع على عاتق

الخالد ولا على القيادة السوفياتية، بل بسبب أعمارهم وأن الكثير منهم كانوا شبه أميين إضافة إلى ذلك ومن موسكو أقام الخالد إتصالات وروابط مباشرة ومستمرة مع أتباعه في أوزبكستان، لأنه كما وضح في رسالة له إلى الرئيس الآذري باقيروف، إعتبر رفاقه قرة عينه. وليس عبثاً أن كتب البارزاني ذلك فهو ليس من أولئك الذين يطلقون الكلام جذافاً.

بعد أن إستقر به المقام في موسكو، خرج الخالد من عزلته مع العالم وبخاصة مع أبناء شعبه. لقد عمل المستحيل مستخدماً كل الإمكانيات المتاحة لديه لإقامة علاقات وإجراء إتصالات مع أبناء الكورد سواء المقيمين في الإتحاد السوفياتي أو مع من كان يأتي إلى موسكو من كوردستان أو من أوربا وآسيا، لأنه كان يمنع من السفر إلى الخارج لأسباب سياسية.

لقد كانت كل كلمة أو حدث عن وضع الشعب الكوردي ووطنه تحظى بإهتمام البارزاني كقائد، لأنه لسنوات عدة حرم من سماع شئ عنهم، لذلك كان ضرورياً له أن يعد نفسه في كافة المجالات أستعداداً للمتغيرات القادمة في وطنه، ليتمكن من الإطلاع على وضع الشعب والوطن للمشاركة فيه حين اللزوم. كان البارزاني يدرك تماماً كما يقال،ـ بأن الوضع سيتغير عاجلاً أم آجلاً وأن طريقه إلى كوردستان سينفتح. كان ينتظر ذلك صبوراً، لأنه لا طريق ثان أمامه.

إن محاولة تقييم الخالد كسياسي وقائد للشعب في آن واحد، لابد

أن يتم من خلال عرض شخصيته وطريقة معالجته السياسية وكيفية طرحه لحل القضية الكوردية : لقد كان بناءً على معلوماته الكاملة حول وضع وطنه ينظم افكاره كسياسي وكزعيم وينفذ أعماله بشكل عملي في الحياة. ومن بين الأمثلة والإثباتات الكثيرة حول شخصيته نذكر فقط الحدث التالي:

عندما عاد البارزاني من الغربة بعد مضي ١١عاما إلتقى به في بغداد بعض الساسة والمثقفين الكورد. وعندما دار الحديث حول وضع كوردستان وعن الشعب الكوردي في المرحلة المستقصية، فإن زواره كانوا يعتقدون ان البارزاني إنقطع عن أخبار وطنه وشعبه لسنوات طويلة لذلك تحدثوا له عن بعض المسائل المتعلقة بوضع كوردستان والشعب الكوردي عندئذٍ حدد البارزاني على الفور نواقصهم وأشار إلى أخطاءهم في ذلك المجال وأثبت لهم بأنه أدرى منهم بالوضع.

إذا كان البارزاني الخالد لأسباب معروفة لم يستطع السفر إلى دول خارج الإتحاد السوفياتي وخاصة إلى كوردستان، لكنه كان يسمح له بالتنقل داخل الاتحاد السوفياتي شريطة أن يتم ذلك في كتمان شديد وكان ذلك كافياً، أن يتعرف البارزاني على كورد الإتحاد السوفياتي وأوضاعهم. كان عليه قبل السفر إلى مجموعة من أكراد السوفيات أو إلى جمهورية من جمهورياتها الحصول على موافقة مسؤولي الحكومة السوفياتية، لأن الحكومة كانت حذرة من زياراته. بالرغم من أن الدول الخارجية ولا سيما الدول الغربية الكبرى تعلم بأن البارزاني ورفاقه إستقر بهم المقام في الإتحاد السوفياتي منذ عام ١٩٤٧، ولكن الحكومة السوفياتية لن تكن

ترغب في وقوع إثباتات بإيديهم، كي لايستخدمونها ضد مصالحها قائلين: «لاحظوا كيف أن الإتحاد السوفياتي إستضاف لديه البارزاني، لإستخدامه من اجل مصالحه وضد مصالح الدول الأخرى وخاصة ضد الدول المحتلة لكوردستان». حتى أنه عندما عاد البارزاني في أعقاب ثورة ١٤تموز عام ١٩٥٨ إلى العراق لم يعط الأتحاد السوفياتي اثباتات ودلائل لأسباب سياسية إلى يد الدول الغربية والدول المحتلة لكوردستان: سافر عبر بغداد عاصمة تشيكوسلوفكيا ومنها إلى القاهرة ثم بغداد.

وللأسباب السياسية هذه أخبرت القيادة السوفياتية البارزاني بأنه بإمكانه السفر فقط إلى وسط من أوساط أكراد السوفيات أولئك القاطنون في جمهورية أرمينيا. كان هذا الإقتراح يلبى مصالح الدولة السوفياتية لأن الحركة الثقافية الكوردية في كل الجمهوريات التي يعيش فيها الكورد، كانت في جمهورية أرمينيا التي أصبحت مركزاً كبيراً وديناميكياً للثقافة الكوردية.

رغبت الحكومة السوفياتية من خلال عرض أوضاع الكورد في أرمينيا ولاسيما في مجال التطور الأدبي والثقافي إرضاء البارزاني موضحاً له كم قدمت الدولة السوفياتية والنظام الإشتراكي من إمكانيات ضخمة في ذلك المجال لبضعة عشرات الألوف من أكراد أرمينيا، بمعنى جعل حياة الكورد هنا ووضعهم واجهه ترمز إلى تقدم جميع أكراد الإتحاد السوفياتي. لقد اتقنت الدولة السوفياتية صنع الواجهات أمام الأجانب والغرباء.

ففي الوقت الذي تحققت فيه زيارة البارزاني الخالد بين أكراد أرمينيا، أخذت الصحيفة الكوردية ((ريا تازه ـ الطريق الجديد)) تصدر مجدداً في عاصمتها يريڤان بعد إيقاف تصديرها في عام ١٩٣٧ ناطقة باسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرمني وحكومتها. وفي العام ذاته، اي عام ٩٥٥ كانت راديو يريڤان تبث برنامج باللغة الكوردية لمدة نصف ساعة. وفي إطار إتحاد كتاب أرمينيا، تأسس فرع إتحاد الكتاب الكورد، وفي داخل نظام أكاديمية العلوم الأرمينية، إنشغل العلماء بالكوردولوجيا، وأصدروا كتباً علمية وكتابات في مجال الكوردولوجيا بالإضافة إلى طباعة كتب تعليمية باللغة الكوردية لتلاميذ المدارس في القرى الكوردية. كانت تدرس في جامعات ومعاهد أرمينيا العشرات من أبناء وبنات الكورد. ويمكننا القول، بأنه في تلك الجمهورية تشكلت جيشاً من المثقفين الكورد نسبياً طبقاً لعدد سكان الكورد في أرمينيا، وتم تعيين عدد من الكورد في وظائف حكومية وإحتلوا مناصب ومسؤوليات رفيعة...الخ. كان الخالد في ذلك الوقت إلى حدما ملم بوضع الكورد في أرمينيا، لذلك كان ينظر بعين من الراحة إلى إقتراح القيادة السوفياتية له بالسفر إلى أكراد أرمينيا وقبل بها مبتهجاً.

إضافة إلى ذلك ، قررت القيادة السوفياتية أن تتم زيارة مصطفى البارزاني الى الكورد في أرمينيا على مستوى رفيع كزعيم للشعب الكوردي، لكن بشكل شبه علني. وكان يفهم من

ذلك كخبر إعلامي صغير للزيارة التي منعت نشرها: في الإذاعة والتلفزيون والصحافة.

وجاءت زيارة الخالد إلى أرمينيا في عام ١٩٥٦ وكان هناك إلى جانب العاملين الحكوميين في كل من موسكو ويريڤان من الغرباء إثنان من الموظفين الكورد الحكوميين في أرمينيا كانا يقودان القائد خلال زيارته إلى تلك الجمهورية ـ وهما: نادوى خودو محمودوف وسمند على سيابندوف.[1] اللذان كانا نائبان لوزراء في أرمينيا.

جرى لقاء في جو حماسي، كما أسلفنا الذكر مع البارزاني في إدارة تحرير جريدة ريا تازه الكوردية حضره المثقفون الكورد. لكن الشئ المهم هنا هو زيارة الخالد لقريتين كورديتين من قرى أرمينيا: وهما قرية جرجريس (حالياً- ديريك) الواقعة في مقاطعة آخباران وقرية هكو في مقاطعة تالين، حيث تحدث مع البسطاء من القرويين، زار بيوت عدد منهم، ليتعرف عليهم وعلى شروط حياتهم. وهنا أيضاً لجأت الحكومة السوفياتية إلى استخدام الواجهة: فقد حددت أكثر البيوت غناً لاستقبال البارزاني بعد أن فرشت بالأساسات الجديدة.

١ـ سمند علي سيابندوف: ولد حوالي عام ١٩١٨ ينحدر من قرية سنگر منطقة آلاگاز عمل سكرتير أول للجنة الحزبية لمنطقة ألاگاز خلال وبعد الحرب الوطنية العظمى، عمل نائباً لوزير الزراعة في أرمينيا لسنوات طويلة. شارك في الحرب الوطنية العظمى وهو الكردي الوحيد الذي نال لقب بطل الإتحادالسوفياتي كان قوي البنيان وهو مؤلف ملحمة ((سيامند وخجي)) باللغة الكردية وأحد مؤلفي قاموس أرمني- كوردي، توفى حوالي ٢٠٠٣. (المترجم)

أحس الخالد بذلك فغير نمط زيارته إلى بيوت القرويين، بمعنى آخر كان يحدد المنازل الذي سيزورها بنفسه. عندما ارادوا في قرية جرجريس إستضافته إلى أحد البيوت الثريه لشخص متعلم والعنصر السابق للجنة المحلية أفوى أمير زاده، وكان مظهر بيته من الخارج يتميز عن بيوت كثيرة، رفض الخالد قائلاً: أريد الذهاب إلى ذاك البيت مشيراً من على بعد على بيت قديم بعد أن أحس بأنهم يريدون خداعه. ما أن أنهى جولته داخل قرية جرجريس حتى استقبله في بيته والمرافقين له، مسؤول القرية ليفون غريغوريان الأرمني الأصل.

بالأضافة إلى جرجريس، كما ذكرنا زار الخالد قرية كوردية أخرى ـ هكو في منطقة تالين، وهنا ايضاً استبقل من قبل مسؤول القرية كوتي شيرين سدوياني الكوردي اليزيدي.

كانت لزيارة الخالد أثر كبير على الثقافة الكوردية في أرمينيا وكذلك في الإتحاد السوفياتي. فبفضله تم فتح مركزين للدراسات الكوردية في كل من يريڤان ولينينغراد (بترسبوغ حالياً) ، لأن القيادة السوفياتية كانت قد أتخذت قرارها بالإهتمام عن قرب بالمسألة الكوردية وبحلها، كمسألة حيوية بالنسبة لها لذا كان لابد من وضع اساس لدراسة الشعب الكردي وانشاء دراسات لثقافته وبشكل خاص في مجال تأريخ كوردستان.

ففي عام ١٩٥٩ تم فتح فروع للدراسات الكوردية في إطار أكاديمية العلوم السوفياتية في المدينتين. ولكن من أهم نتائج زيارة

الخالد، هو إتخاذ قرار بجعل البث الأذاعي باللغة الكوردية في إذاعة يريڤان ساعة ونصف بدل من نصف ساعة وذلك بناء على إقتراح المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي وعلى أنه يكون البث على الموجه المتوسطة، ليتمكن الكورد في خارج الأتحاد السوفياتي وعلى الأخص في كوردستان والمهجر من سماع صوت الكورد من يريڤان ويرى الكورد، أن البث الأذاعي هذه، تركت آثار أيجابية كبيرة على كوردستان، أنشأ راديو يريڤان نهضة قومية بين الكورد.

بودي الوقوف على تأثير هذه الزيارة على آراء أكراد الإتحاد السوفياتي بشكل عام وعلى أكراد أرمينيا بشكل خاص.

عندما أجتمع تقريباً جميع سكان قرية جرجريس من الرجال والنساء والأطفال حول الخالد في مركز القرية، توجه القائد إلى مسؤول القرية ليڤون گريگوريان الأرمني الأصل، بينما كان الحضور مشدوهين إليه مبدين عن حبهم لزعيمهم الجديد، قائلاً له: ((ليڤون، دعني أقبل عينيك، وأنت تَقَبَلْ عيون أبناء شعبي)) ثم، طلب من الأرمني رئيس القرية أن يهتم بأخواته وإخوانه في الغربة. كما يقال، فإن هذه الكلمات، قد تركت بعداً في التفكير وفتحت جروحاً كبيرة بين الحضور الذين ينتمون إلى شعبه لحماً ودماً.

لأول مرة، رأى أكراد هذه القرية شخصية ذا لقب بارز ((بارزاني)) كزعيم الكورد يزورهم، يتألم من أجلهم، يبدي إهتماماً بشؤونهم، يعتبرهم جزءاً من الشعب الكوردي الذي يعيش بشكل

أساسي في كوردستان. وإذا كان إسم كوردستان حتى اللحظة بالنسبة لسكان تلك القرية مجرد خيال، لكنه أصبح الآن أمام أعينهم حقيقة، والأهم من ذلك إنهم رأوا في هذا الإسم وطن الأجداد القريب.

قبل مجئ البارزاني كان جميع الكورد في الإتحاد السوفياتي يرون في الدولة السوفياتية وطناً لهم، لأنهم قطعوا روابطهم بكوردستان، التي كانت قاب قوسين أو أدنى فهم قطعوا أملهم كلياً بالعودة إليها بسبب الجدار الحديدي والحدود الوعرة التي تفصل بينهم وبين وطنهم ولاسيما الكورد اليزيديين الذين تركوا وطنهم هرباً من اضطهاد ومظالم المحتلين ـ تركيا العثمانية. وإذا صادف إن تفوه أحد كورد السوفيات بأقل كلمة على أن ((كوردستان وطن الأباء والأجداد)) كان ذلك بمثابة خيانة بالنسبة للدولة السوفياتية كعميل لدولة أجنبية وينالون جزاء كبيراً.

إلا أن أهم نتيجة من نتائج زيارة البارزاني، أنها أدت إلى خلق الجرأة لدى الكورد في الإتحاد السوفياتي وإعتبار كوردستان إلى جانب الإتحاد السوفياتي وطناً لهم، على الأقل وطن الأباء والأجداد.

أما النتيجة الأخرى لتلك الزيارة هي تغيير العامل النفسي لدى الكورد في الأتحاد السوفياتي. مع أن السلطة السوفياتية ووفقاً للسياسة اللينينية في المسألة القومية تجاه الشعوب والإقليات القومية الصغيرة كالكورد مثلاً، والتي فقط بسبب قلة عددها لم تنشأ لهم جمهوريات قومية داخل الإتحاد السوفياتي، كانت تعتني بهم ووفرت

إمكانيات كبيرة لتطوير ثقافاتهم. وبالرغم من أنه فقط خلال تلك السنوات للنظام الستاليني الواقعة مابين سنوات ١٩٣٧ــ ١٩٥٣، قطعت السلطات الطريق امام الأفكار العنصرية و الشوڤينية ومنعت ممارستها، إلا أن الكورد في جمهوريات الإتحاد السوفياتي كافة، وفي وسط تلك الشعوب الحاكمة، كانوا يجدون أنفسهم ضعفاء لاحول لهم ولاقوة وغرباء. وكان الكورد يتعرضون إلى الإستهزاء ولو قليلاً وخفية بعيداً عن أعين حكومة الدولة السوفياتية، كانوا ينظرون إليهم كغجر متنقلون وكرحل متخلفون إلى جانب الاستهزاء بزيهم القومي.

وفي أعقاب زيارة البارزاني، أخذ الكورد يشعرون بأن لهم إنتماء ووطن، إذ يرى الإتحاد السوفياتي في شخصية كالبارزاني رئيساً للشعب الكوردي في عموم كوردستان بمن فيهم ساكنيها من الكورد ويبدون نحوه إحترام وتقدير بالغين. وبرزت في الوسط الكوردي السوفياتي أفكار ومشاعر تجسدت في ظهور الشخصية القومية وتكوين الذات الكوردي كالإعتزاز بالنفس والإفتخار. نعم، لقد رأى الكورد في الإتحاد السوفياتي بأنهم ليسوا دون شعب ودون وطن، كما كان يصفهم شعوب الجوار حتى تلك اللحظة.

إضافة إلى ذلك فإن الكورد في الإتحاد السوفياتي بدأوا يدركون بأن البارزاني يناضل من أجل تحرير كوردستان- وطنهم أيضاً، وفيما لو أحرز نصراً في عمله المقدس، فإنهم سيتمكنون من العودة إلى وطن الآباء والأجداد، الأمنية التي راحت معهم إلى القبور*،

* الترجمة الحرفية: إلى التراب والأحجار الباردة (المترجم).

لأن جميعهم قد فروا من المناطق الكوردية الواقعة تحت نفوذ السلطة العثمانية إلى اراضي الأمبراطورية الروسية السابقة وإستقروا خصوصاً في أرمينيا التي كانت تعد إحدى أقاليم تلك الإمبراطورية، للتخلص من العسف وإضطهاد الدولة العثمانية.

صحيح، ومما يؤسفني، إنني لم ألتق بالخالد عند زيارته لأرمينيا، لكنني عرفت عن زيارته وخاصة إلى قرية جرجريس مكان تلك القرية وخاصة من شقيقتي سوسيكي، التي كانت متزوجة هناك وسمت إبنها بـ((بارزاني)) تيمناً بالخالد في أعقاب زيارته. لو رأيتم كيف كان سكان تلك القرية يتذكرون بكل حب وإعتزاز وبكل فخر زيارة البارزاني لقريتهم ويكررون مرات ومرات كلامه إلى ليفون غريغوريان: كما لو أن طفلاً في لحظة صعبة، يهتم به رجلاً كبيراً قوياً، إضافة إلى أنه يتحدث طبقاً لمشاعره وأحاسيسه ومتطلباته، يحمله عالياً ويدلله. كيف سيتحدث الطفل أمام الآخرين عن ذلك؟ تماماً بهذا الشكل كان الكبار والصغار من أهالي جرجريس يتحدثون عن الخالد ويتذكرون كلامه تلك.

نعم، كانوا يتحدثون مسرورين ومفتخرين إلى الغرباء عن زيارة الخالد إلى قريتهم قائلين: هل تعلمون، ماذا قال البارزاني لمسؤول قريتنا ليفون؟ وبعد هذه المقدمة كانوا يردون على الأسئلة حول زيارة الخالد وكلامه لليفون.

كان بودي الوقوف على عجل عند رؤى وأحاسيس ومشاعر سكان جرجريس التي تكون في عقولهم ونفوسهم جراء كلام الخالد إلى ليفون غريغوريان.

حقيقة، لم يكن سرورهم بسبب ذلك، أن ليفون بعد هذا الكلام سينظر إلى الفلاحين والعمال بشكل أفضل وسيعاملهم بعيون الرحمة. صحيح،أن ليفون إنحدرمن أصول أرمنيه، إنتمى إلى الشعب الأرمني الحاكم صاحب السلطات والذي كان يشكل الأغلبية، لكنه في الوقت نفسه لم يكن ليفون غريباً عنهم وكان يعتبره ككردي منهم.

أن آباء وأجداد ليفون وحوالي تسعة إلى عشرة أسر أرمنية، قد إستقرت في قرية جرجريس ذي الأغلبية الكوردية- من اليزيديين، جاؤوا من منطقة موش* من بين الكورد خلال سنوات الحرب العالمية الأولى إلى هذه القرية الكوردية لذا واصلوا هنا حديثهم الكوردية وتعودوا مباشرة على الوسط الجديد ومنهم ليفون. صحيح أن القرية تقع في أرمينيا، ولكن أن أغلبية ساكنها من الكورد اليزيديين، لذلك إلى درجة ماكان ليفون بحاجة إليهم كمسؤول للقرية وليس هم بحاجة إليه.

* ـ كان يحكم منطقة موشى في بداية القرن العشرين رازي خاليد رئيس إحدى العشائر الكوردية القوية ويقال عنه بأنه كان صارماً وظالماً، مات مسموماً في مدينة موش على يد الأتراك وقصته هذه مدونة في الأغنية الكوردية للمغنى الكوردي شاكرو من كوردستان الشمالية يقال: بأن سكان جرجريس من الأرمن يمازحون ليفون قائلين له: بانك من لدن رزايي خاليد، وهو يحمر خجلاً، حيث كانت أمة جميلة التي كانت الى جانب الأرمنيات الأخريات تخدمن الأقطاعي الكوردي. (المترجم)

إلا أن البهجة والإفتخار ألتي عمت بين أكراد هذه القرية، كان بسبب مجيء شخص كالخالد الزعيم الكوردي المعروف الذي كن له التقدير والإحترام من كل من موسكو و يريڤان، يهتم بشؤونهم إضافة إلى أنه يوصي بهم، كحال الأب الذي يوصى بأولاده للغرباء.

خلال تلك بضعة ساعات التي أمضاها الخالد في قريتي جرجريس وهاكو ترك بين سكان القريتين الحب والإحترام والتقدير والأثر البالغ لدرجة أن بعد زيارته فإن الكثير من الكورد اليزيديين في أرمينيا وبشكل أخص في القريتين المذكورتين والقرى الأخرى سموا أبناءهم بالبارزاني. بهذا الشكل فقد ظهر في كل قرية مجموعة أشخاص بإسم البارزاني، وتقديراً للخالد فقط كانوا ينادونهم ب((بازو)) اي البارزاني الصغير. وعندما كبروا هؤلاء ولنفس السبب نادوهم ببازو، هذا حدث عظيم، إن هذا يؤكد على أن أكراد السوفيات لم ينظر إلى الخالد كقائد فقط بل وكأب لهم. والمهم هنا، أن الكورد اليزيديين نسوا بأن مذهبهم يختلف عن مذهب البارزاني. ويجب ان لا يغيب عن بالنا أن أغلبية من سموا أولادهم بالبارزاني لم يكن من المثقفين بل من الفلاحين والعمال اليزيديين البسطاء. والسبب يعود إلى العرق أي رابطة الدم، كان ذلك إنتصاراً للحس القومي وأثبتوا صدق مقولة شعبنا şûrê Xîretê hetim serfêza şûrê dîn- oIê dane بمعنى ((السيف اعلى شأناً من الدين)).

وكما أسلفنا الذكر، بالرغم من محاولات القيادة السوفياتية بجعل زيارة الخالد سرية، ويجوز أنها قد نجحت في كتمانها عن المواطنيين السوفيات من غير الكورد ولاسيما عن خارج الدولة السوفياتية، ولكنها لم تصبح فقط مسموعاً بل وتركت تأثيراً بالغاً، كما رأينا، على أوضاعهم وأفكارهم.

بودي الوقوف هنا عند مسألة مهمة، إن الخالد في أرمينيا زار سكان قريتيين واللتان كانتا للكورد اليزيديين. إن رغبة الخالد هذه تتواصل اليوم عبر إبنه البار رئيس إقليم كوردستان مسعود البارزاني مؤكداً في كل مرة على أن اليزيديين هم الكورد الأصلاء.

إنني هنا وكمثقف كوردي يزيدي اذكر إخوتي وأخواتي من يزيديين إقليم كوردستان ومنهم من بقوا حتى هذه اللحظة خارج الأقليم في سنجار، ولاسيما بصدد ماحدث من حادث مؤلم ومر بين بعض من الكورد اليزيديين والمسلمين، أذكرهم بالحكمة المأثورة لشعبنا: Berê du bistanan Jî hev dikeve

المصطلح الذي يعني أن الخلاف يدب بين أقرب المقربين. إن الإنسان من أجل عين واحدة تعشق آلاف الأعين. كنت أحبذ، أن نكون نحن الكورد اليزيديين في ذلك المستوى من التقدير الذي يكنه لنا البارزاني الخالد وأبنائه. حتى لانسقط من ذلك المستوى الرفيع وبسبب بضعه اشخاص جهلة وأغبياء.

وبذلك، فإن البارزاني الخالد إضافة إلى تحقيق غاياته التي

وضعها نصب أعينه قبل المجئ إلى الإتحاد السوفياتي، حقق أعمالاً أخرى كبيرة ضرورية ومفيدة لأخواته وأخوانه في ذلك البلد. أن الكورد في الإتحاد السوفياتي ولاسيما أولئك الذين التقوا به وجهاً لوجه وأصغوه، رأوا في أعينه الذي يشبه أعين النسر ليس فقط كوردستان وطناً لهم، لابل خلق بينهم أمل كبير بالمستقبل الذي تحدث لهم بثقة كبيرة عن ذلك الغد المشرق والوضاء.

واليوم وعندما أصبح ذلك الحلم حقيقة في إقليم كوردستان، فقبل كل شئ، إن ذلك قد تحقق بفضل نضالات البارزاني الخالد وبدماء البشمركة الأبطال شهداء كوردستان.

إن الزعيم الكوردي مصطفى بارزاني، كمارأينا، قد حقق الأهداف التي خطط لها قبل مجيئه إلى السوفيات في شروط وظروف صعبة للغاية أنه فقط القائد الحكيم وصاحب التجارب السياسية العميقة والثرية المعروف عنه يتحمل المشقات وبالقوة وبالجرأة النادرة، صاحب الأرادة الفولاذية والأهم من كله الوطني الكبير والمدافع الكبير عن الشعب يتمكن من تحقيق كل هذه الأعمال.

كل واحد حر برأيه، إلا أن زعيماً كالخالد، الذي كرس جل حياته بلا هوادة وبشكل كامل في سبيل تحرير شعبه ووطنه، من الممكن أن يظهر كل مئة عام مرة واحدة.